

الطهارة الميية

خواطر جد مسلم
إلى أطفال العالم

الدكتور حسان حتوت





الصّمتُ المُبينُ

خواطرُ جدِّ مُسَلِّمٍ إلى أحفادِ العالمِ

الدكتور حسان حتحوت

٢٠٠٩

د. حسان حتحات

الصمت المبين

خواطر جدُّ مُسلم إلى أحفاد العالم

ترجمة: محمد الصاوي

الكويت

٢٠٠٩

مكتبة
غنيمة المرزوق
سلسلة من الإصدارات
تصدر عن **مجلة اسرتي**

رئيس التحرير:

علا فجحان هلال

المطيري

مدير التحرير:

محمد مرعي

الناشر

مؤسسة فهد المرزوق

الصحافية

Tel:+96524836143/4/5/6/7/8 Fax: +96524816928

P.O.Box: 2995, Safat 13030, Kuwait

Email: info@fahadalmarzouk.com

تقديم

بقلم/ غنيمة فهد المرزوق

هذه خبرة جدّ مُسلمٍ يقدّمها إلى أحفاد العالم.. الجدّ المسلم أستاذ أكاديمي وطبيب ممارس.. اسم عريق في مجال تخصصه، حيث وصل فيه إلى أعلى درجات التخصص.. إنه الدكتور «حسان تحوت».

كشف الله عن بصره وبصيرته، فأتقن فنّ الدعوة إلى الله الواحد الأحد.. يصفه الداعية والمفكر الإسلامي العريق الدكتور مصطفى محمود بقوله: «الدكتور حسان تحوت مفكر إسلامي عظيم.. إذا استمعت إليه فأنت تستمع إلى بحر.. فهو طبيب وعالم ورحالة خاض الحياة حلوها ومرها، وخبر مجتمعاتها.. وعاشر ناسها خيارهم وشرارهم.. امتلأ بالحكمة التي فاضت نبضاً حياً على الورق وتجربة تفيد من يقرأها».

وصفته مجلة «أسرتي» من خلال حوار شامل جامع مانع، أجراه معه الزميل محمد مرعي، نشرناه بمناسبة تركه لموقعه في الكويت إلى الولايات المتحدة الأمريكية بأنه: «صاحب تجربة غنية ثرية في الدعوة إلى الله.. وفي مجال توضيح حقيقة الإسلام وشرح قيمه ومثله وأخلاقياته كطريق فيه فلاح الإنسان وصلاحه».

ومن الغريب أن هذه التجربة سببت له ويلات وويلات، لكنه لم يتراجع.. لم يتأخر.. ازداد صلابة وعظم إيمانه أكثر وأكثر بدين الله.. ازداد إصراراً على الاستمرار في الدعوة.. والانطلاق بها إلى آفاق بعيدة ومواقع جديدة..

وواصلت «أسرتي» الحوار مع الدكتور حسّان حتحوت.. تتحدث عن تجربته:
• أديب أحبّ الأدب وهواه.. لغته رائعة.. جملته بريقة.. صُوْرُها البلاغية
مشرقة لامعة يحسده عليها كبار الكتاب والأدباء.. والده ربّاه على الاهتمام
بلغته.. فاللغة كالعرض.. والتفريط في اللغة كالتفريط في العرض.

• شاعر نظم القصائد الرائعة التي يؤكد من خلالها أن الشعر كان وسيبقى
«ديوان العرب» على الرغم من أن أشكالاً جديدة من فنون الأدب دخلت إلى حياة
العرب، وتعرفوا عليها كالقصة بأنواعها أو المسرحيات بأشكالها المختلفة.
• له تجربة عريقة في العمل الوطني والسياسي.. كلفته كثيراً.. لكنه لم يكفر
بالعمل الوطني والسياسي.

لقد وجد المفكر الداعية الطيب الأديب الدكتور حسّان حتحوت أن مكانه
يجب أن يكون في الولايات المتحدة، فكان قراره بالهجرة إليها بعد ٢٦ عاماً
قضاها في الكويت طبيباً بين أهلها وأستاذاً في جامعتها.. على يديه وجَدَتْ أجيالٌ
من أبنائنا النور.. وعلى يديه تخرجت أجيال من أبنائنا الأطباء.

لكن.. ما دافع الدكتور حسّان للهجرة إلى الولايات المتحدة؟
يقول: «إنها الدعوة إلى دين الله سبحانه وتعالى».. والدعوة في نظر الدكتور
حسّان «هي تغيير الناس من حال إلى حال.. من خُلِقَ إلى خلق.. من طبع إلى
طبع.. من منهاج إلى منهاج آخر».

ومنهج الدكتور حسّان حتحوت في الدعوة إلى دين الله في بلاد المهجر هو
نفس منهج المسلمين الأوائل الذين فتحوا أقطاراً في الشرق أو الغرب مؤسسين
دولة الإسلام: «ليس فتح عُلوٍّ أو عُتُوٍّ أو إشباعاً للفرائز الجامعة، أو استنزافاً

للدماء والثروات» على حدّ تعبير الشيخ الجليل المرحوم الدكتور محمد عبدالله دراز.

ويقول الدكتور مصطفى محمود عن رؤية الدكتور حسنّ حتوت للدعوة: «الدعوة إلى الإسلام ليست خطابة.. وليست طنطنة في ميكروفونات.. إنما هي أعمال وفضائل وقدوة، تقدح شرارة في النفوس المظلمة، فتضيء وتحيا من جديد كأنها ترى الدنيا لأول مرة».

لقد قال الدكتور حسنّ حتوت للزميل محمد مرعي في الحوار الذي جرى بينهما، وهو يتهيأ للسفر إلى الولايات المتحدة الأميركية، والذي نشرته «أسرتي»: «أنا شايف أن الإسلام في منتهى العظمة، والمسلمون في منتهى الكساح! فلا عجب إذن من أن الدنيا لا تسلم.. لو وجدت الدنيا سلماً على مستوى الإسلام في كل شيء، فإن الدنيا ستصبح مسلمة.. فالإسلام لا هو شرق أوسطية ولا هو أمة عربية أو غربية.. الإسلام رحمة للعالمين.. ربنا يقول: (يا أيها الناس...مخاطباً كل الدنيا.. ويقول لرسوله: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).. مسؤوليتك أن تُغيّر العالم إلى عالم مُسلم.. والتغيير يكون عن طريق النفوس، لكن دور الذين يتصدون لهذا العمل أضيّق بكثير.. إنهم يزيدون الناس نفوراً.. إنهم يجعلون الناس في خط معادٍ للإسلام.

«أنا أدعو - والكلام للدكتور حسنّ حتوت - الذين يتصدون للدعوة أن يلتزموا بمنهج القرآن.. واللي شايف أنه مش قادر يكون محبوباً بلاش يدعو الناس.. يكفّ شره عن الإسلام».

نعود إلى وصف الدكتور حسنّ حتوت على لسان الدكتور مصطفى محمود،

وهو يتحدث عن تجربة الدكتور حسّان من أنه - أي الدكتور حسّان - «عاشر الناس خيارهم وشرارهم».. هذا الوصف شرح معناه الدكتور حسّان لـ «أسرتي» في حوارها معه، حيث قال: «بعد نجاحي في (التوجيهية) أو (الثانوية العامة) كما تُسمى الآن، احترت.. أي الكليات أدخل؟ هل ألتحق بكلية الحربية؟ فقد تربيت على ضبط النفس والتنظيم والولع بالفداء من أجل الوطن.. هل ألتحق بكلية الآداب؟ فلي ولعٌ بالأدب ونظم الشعر؛ وهذا يجعلني أتخيّل نفسي أديباً».

ويواصل الدكتور حسّان: «هل ألتحق بكلية الحقوق؟ فقد شاركت في الاحتفالات المدرسية خطيباً أو عضواً في مناظرة، وهذا يجعلني أتخيّل نفسي منسجماً مع دور المحامي».

ويأتي دور الطبيب.. تسأل «أسرتي»، وتأتي كلمات الدكتور حسّان: «أحمد الله أنني اخترت الطب؛ الطب مهنة لا يندم عليها من اختارها.. الطب هو المهنة الوحيدة التي تسمو على غيرها من المهن».

ويضيف الدكتور حسّان: «من حيث كان العدل غاية لأية مهنة، فإن العدل وحده لا يكفي لأن يكون المرء طبيباً.. وإنما يسمو الطبيب بالواجب من مرتبة العدل إلى مرتبة الرحمة».

الضابط يحارب الأعداء فيقتلهم.. والمحامي يدافع عن الحق في مواجهة مع الظلم.. والأديب - فيما توسّمت - يحترف ما ينبغي أن يكون مذهبه.. حيث أستطيع أن أكون طبيباً أو أديباً، لكني لم أتصور أن أتخذ الأدب حرفة أرتزق منها، وصدق ظني.. فاخترت الطب مهنة.. فالطبيب يأتيه الصديق والعدو.. البعيد والقريب.. يأتيه الجريح من جنود الوطن أو الجريح من جنود العدو..

المحسن والطيب.. حتى الزاني والزانية فلا يجد أيّ منهم عند الطبيب إلا العلاج والمواساة».

ويستمرّ الدكتور حسان يُفسر اختياره لمهنة الطب فيقول: «هنا أصبح العدل من سقطات الطبيب حتى أصبح يتعامل بالرحمة... ورحمة الله فوق عدل الله.. ورحمة الله فوق الغضب، وأن يكون الإنسان وسيلة من وسائل رحمة الله بعباده فأحسب ذلك مكافأة، لا يُغني عنها كسبٌ ولا مالٌ».

لكن: ما مواصفات الداعية؟ كيف يجب أن يكون؟

لماذا نجح الدكتور حسان حتوت كداعية إلى الحق «سبحانه وتعالى»؟

للإجابة عن الأسئلة السابقة وأمثالها دعونا نوجّه إليكم الدعوة لإلقاء نظرة على منهج الرجل.. ونقوم بسياحة فكرية بين القضايا التي يطرحها بمنهج الفهم الواعي.. والمُدرّك للرسالة التي نذر نفسه لها، والتي زرعتها كلمات أمّه في وجدانه، وهي توصيه وهو طفل صغير: «لقد نذرتُ أن أُسميك (حسان).. وأنا أهبك لطرده الإنجليز من مصر».

ثم رؤيته لأمّه وهو طفل صغير «كأول امرأة تُنظّم مظاهرة نسائية في مدينة (شبين الكوم) عاصمة محافظة المنوفية في جمهورية مصر العربية: لتُعلن أن المرأة جزءٌ من نضال شعب تحرّك تحت قيادة سعد زغلول قائد ثورة ١٩ في مصر الشقيقة.. وتوجّهت مظاهرة النساء إلى كنيسة الأقباط في مدينة (شبين الكوم) للتعبير عن تجسيد الوحدة بين أبناء الشعب».

إن الداعية والمفكر الإسلامي حسان حتوت قرّر الانتقال بنشاطه وتجاربه إلى الولايات المتحدة.. وفي كتابه «بهذا ألقى الله» أو «رسالة إلى العقل العربي

المسلم» يقول: «عشنا في الكويت فترة طويلة. وللكويت عليّ يدٌ لا تُنسى، ليست الوظيفة، وليس المرتّب، فكان في وسعي مثل ذلك وأزِيد، ولكن في وقفة وفاء لم يعلم بها إلا الأقلون من رجال الكويت، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً.. وعوّضني الله خيراً كثيراً، وكان فضل الله عليّ عظيماً».

ويمضي الدكتور حسان فيقول: «والذي صاحبني طوال حياتي حبّي للإسلام، أحمل اسمه وأحمل همّه، وأعمل له.. ودلّتي زيارتي على أن للإسلام في أميركا فرصة حقيقية وتاريخية، إن ضيعناها فهي شيمتنا، وما أكثر ما ضيعنا! وإن انتهزناها فربّما أفضى ذلك إلى منعطف تاريخي يفيد أميركا، ويفيد العالم، ويفيد المسلمين وقضايا المسلمين».

ويتابع الدكتور حسان شارحاً وموضحاً خلفيات انتقاله من الكويت إلى أميركا: «استقلت من عملي بالكويت، وسافرت إلى أميركا، وطويت سجل العمل الطبيّ الذي عشقته، وما أزال، وقلت أقصر شريحة من عمري على خدمة الإسلام وأنتهزها فرصة في زمن الاستطاعة، وأربعون سنة من الطب إسهامٌ وافٍ والحمد لله. وأفضل خدمة للإسلام في أميركا - وفي غيرها من البلاد مسلمة أو غير مسلمة - هو أن يعيشه الإنسان، ويحسن عرضه على الناس».

ونقرأ أيضاً ما كتبه الدكتور حسان تحتوت: «أحببتُ أميركا، وإن كان بها فسادٌ كبيرٌ على مستوى الأخلاق وعلى مستوى السياسة، لكنها تتيح قسطاً من الحرية في خدمة الإسلام لا يتوافر في أكثر بلاد المسلمين، وحيث تكون الحرية (حرية الصلاح والفساد) فالإسلام هو الراجح على المدى البعيد، وحين تغيب الحرية فالإسلام أول وأكبر خاسر».

وتتواصل قراءتنا لما كتبه الدكتور حسّان لنصل إلى قوله: «أطالع الإسلام على خريطة العالم فأطالع ما يسر وما يسوء.. أتأمل أحوال المنتسبين إلى الإسلام فأجد فيهم من يخدم الإسلام وأجد منهم من يؤذيه».

ولنتأمل ما كتبه أيضاً: «وربما رأيت من يرفع العقيدة حماساً، لكن وقوداً حرّكته الكراهية والبغض، وربما طال أذاه الأبرياء بل قتل الأطفال والنساء، وهو يحسب ذلك جهاداً، وما هو بجهاد».

ملحوظة: ما كتبه الدكتور حسّان كتبه قبل أحداث ١١ سبتمبر.

خلف تجربة الدكتور حسّان تحוות تجربة عريقة عميقة و«تمرس كبير بقضية الإسلام في الشرق والغرب» و«قلب من يعرفه لا يشك في إخلاصه».

ويصف الدكتور حسّان تجربته بأنها «إضافة إلى جهود رجال مؤمنين وأساتذة علماء ودعاة هداة نذروا أنفسهم لخدمة الإسلام والذود عنه من الداخل والخارج».

أكبرهم يواجه الإسلام - في نظر الدكتور حسّان - «هم بعض الدعاة.. الذين يُكفّرون ويُنفّرون».. وهو يطالب بضرورة إعداد الدعاة إعداداً يتناسب مع عظمة الإسلام.. كدين فيه فلاح وصلاح البشر.. وهو يضع منهجاً قائماً على فهم وإدراك عميقين لدين الله.. فما نقطة البداية في منهجه؟

قال الدكتور حسّان في حوار مع الزميل محمد مرعي والذي نشرناه في «أسرتي»: «الحرية هي البداية.. إنها نقطة أصيلة ومحورية أودّ أن أجابه بها الدعاة والمتدينين».

ويتساءل الدكتور حسّان: لماذا؟ ويجيب عن السؤال: «لأن أخطر التهم التي

وجهها الملحدون والعلمانيون إلى التدين أو المتدينين هي تهمة العدااء للحرية». ويضيف: «الإنسان في الأصل حرّ.. طبعاً في كل مجتمع إنسانيّ مُلحد أو مؤمن يوجد قانون.. في المجتمع المسلم نقول: عندنا شريعة.. وفي الدول الشيوعية أو العلمانية يقولون: يوجد عندنا قانون مدني أو جنائي.. القانون هدفه تنظيم المجتمع.. الأصل في الإنسان أنه حرّ.. الحرية هي الأصل.. حتى حرية المعصية، إذا التزم بالقانون فقد أمن العقاب، لكن في الوقت نفسه وقع في الإثم، ولم ينج من حساب الله.. ضميره رقيب عليه وهو فعَل ويختار.. الذي لا يصادم القانون.. القانون لا يصادمه.. الذي يصادم القانون له الحرية في أن يفعل ما يشاء».

ويعلق الدكتور حسّان: «للأسف أقول إياه.. أقول إن ١٠٠٪ أو ٩٩٪ كما تقول نتائج الانتخابات في بلادنا من الدعاة ليس لديهم وعي أو إدراك بأن الأصل في الإنسان هو الحرية.. ليس عندهم استعداد لكي يعطوا لك الحرية.

العلمانيون يتهمون الدعاة أو المتدينين بأنهم يعتمدون في دعوتهم على أساس المنطق الديني، وأن هذا المنطق لا حرية فيه.. منطلق يقوم على الأمر والنهي.. لكن لننظر إلى الموقف على النحو التالي: لننظر إلى أنفسنا ولنسأل: لماذا خلق الله الإنسان؟ لماذا كرّم الله الإنسان وسخّر له ما في السماوات وما في الأرض؟ لماذا كرّمه بحمل الأمانة؟ لماذا ميّزه عن غيره من الكائنات؟»

الدكتور حسّان يجيب عن هذه الأسئلة قائلاً: «ربنا خلق الإنسان.. وخلق معه صفة لازمة وضرورية.. قال له: يا إنسان تصرف وسوف أحاسبك.. عليك بالعمل، لكن سوف أحاسبك، ونحن لا نتخيّل حساباً من غير حرية.. فكرة الحساب سوف تختفي تماماً إذا لم تقل إن جوهر الإنسان هو الحرية.. على الإنسان أن يختار..

ولهذا سوف يحاسب، وإذا لم يكن الإنسان حراً فلن يُحاسب، لكن الداعية عندنا
يميل إلى القيام بدور الديكتاتور».

إذن أول خطوة في إعداد الداعية - في نهج الدكتور حسّان - هي أن يعي أن
الإنسان حرّ.. ليس من حق الداعية أن يذهب إلى من يعتقد أنه أخطأ ليضربه!
«واجب الداعية أن يوجّه الدعوة للإنسان الذي أخطأ بالحكمة والموعظة
الحسنة».

ويواصل الدكتور حسّان في حوارهِ الذي نشرناه في «أسرتي»: ربّنا يقول لرسوله
الكريم: ﴿فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر﴾.. الدخول في الدين
اختياري.. ﴿لا إكراه في الدين﴾.. الإنسان حرّ في اختياره وسيحاسبه الله.. ﴿ولو
شاء ربك لأمن من في الأرض جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾.
الدعاة الآن لا بد أن يعرفوا أن «إنسان» يعني أن يكون حراً.. هكذا يؤكد
الدكتور حسّان، ويضيف: عليهم أن يدركوا «أن حرية الإنسان هي مشيئة الله في
خلقه».

الخطوة الثانية في منهج الدكتور حسّان تحث لإعداد الدعاة هي أن يعرفوا
أن عدّتهم في استمالة الناس، وبغير استمالتهم الناس سوف ينفّرونهم ويزيدونهم
بعداً عن الإسلام.. ويقول: للأسف انظر إلى الذين يتصدّون للدعوة الآن، إنهم
يحفظون ثم يخطبون.. المؤدب فيهم يقول اللي حفظه.. والمتهور فيهم يهزأ من
الذين يتواجدون أمامه يصلون.. يهاجمهم ويسبهم.

الالتزام بمنهج القرآن الكريم الذي التزم به الرسول (صلى الله عليه وسلم)
في الدعوة كان سرّاً انتشار الإسلام.. كدين رحمة بعيداً عن العنف».

ويرى الدكتور حسان حتحوت «أن أنبل الرايات هي راية الإسلام.. إنما اللي شايها مكسح!».. و«لنقاتل - إذن - من أجل أن ينتصر الإسلام بمنهج الحب.. والرحمة.. فالإسلام هو الرحمة».

كلمة

بقلم: محمد مرعي

ارتبطتُ بالأستاذ الدكتور حسان حتحوت - الذي فقدناه - ارتباط التلميذ بأستاذه.. وكانت البداية توجيهات السيدة غنيمة فهد المرزوق رئيسة تحرير مجلة أسرتي إليّ وأنا ذاهب إليه لأجري معه حواراً وهو يستعد لمغادرة الكويت مهاجراً إلى الولايات المتحدة الأميركية، داعياً إلى دين الحق سبحانه وتعالى.

كنت أظنّ - وأنا ذاهبٌ - إليه أن هناك مساحة تفصل بينه وبينني من خلال منطلقات فكرية ومواقف سياسية.. لكنني عندما التقيت به انشغلت هذه المساحة بعلاقات التلميذ بأستاذه.. واحترام ثقافة الخلاف في الرأي.. وكانت كلماتي وأنا أغادر منزله الذي شهد الحوار:

«عفواً سيدي.. أعترف بأنني خسرتُ كثيراً لعدم الاقتراب منك أو التعرف عليك والتزوّد من علمك وفضلك».

أحببتُ الأستاذ الدكتور حسان حتحوت الذي فقدناه ونحن أحوج ما نكون إلى علمه وفضله ومنهجه في الدعوة إلى دين الحق سبحانه وتعالى.

عموماً تلقيتُ نسخة الكتاب الذي نشر ترجمته بناءً على رغبة السيدة غنيمة التي كانت تعليماتها واضحةً بالاهتمام بنشر الكتاب.. وبدأنا التنفيذ وتُرجم الكتاب، وأرسلنا الترجمة إليه.. وكتب إلينا الخطاب الذي نشر صورته التي أجاز فيها الترجمة، وشكر المترجم.

كانت السيدة غنيمة حريصة على نشر الترجمة، وكانت - وكنا معها - نتمنى أن يرى الأستاذ الدكتور حسان الكتاب بعد صدوره.. لكنها إرادة الله، ولا راداً لإرادته! رحم الله الراحل الكريم، وأدخله فسيح جناته، ومنح أسرته وأصدقائه وعارفي علمه وخلقه الصبر.

٢١ يناير ١٤٠٨ هـ

الأخ الكريم و الرجل الوفي النسل الأستاذ محمد مرعي
رفاه الله وآله أجمعين
تلقيت بيد الشكر والامتنان ترجمة كتاب الصغير
« الصمت الكبير » وقد أحسنتم اختيار ترجمة
عنوان الكتاب أعجبتني فأبقيت عليه مع إضافته
لمر صفر حتى كما تجدونه .

و اني لأشكر الأخت الكريمة البارة السند غنيمة
المرزوقه وأدعو لها دائماً بالعافية وراحة البال .

كما أشكر الأخ الكريم محمد الصاوي الذي تولى ترجمة
الكتاب رغم أن ذلك ليس سهلاً ولا ولكنه أحن
وأجاد فجزاه الله عن كل خير وبارك له في نعمه عليه .
وقد أجزيت على الترجمة طيات أرجو أنه يتبع لها
الصدر و أرجو تنفيذها بدقة حتى وإنه كان في ذلك
بعض المشقة . وقد أدرجت مكانه قصة المسح قطعة
شعرية أخرى تنتمي الى نفس الهدف كما أضفت
قطعة شعرية أخرى بعنوانه خاتمة المطاف تكون
في نهاية الكتاب .

و شرفني لو تفضلت السيد غنيمة بتخلية الكتاب بتقدمة
صلاً في أوله ولو على صفحة أو صفحتين ...
كذلك يرجى للغاية بعد التعليقات أن تبصروا لي النسخة
الجديدة مع هذه النسخة لصحة مراجع الصحاح ... ←

وأعلم أنه في ذلك سنة على المصحح ولكنه يعادله
حرصى على وحرصكم على أنه تنجوا عملاً كما تدر لي
بمؤسستكم العظيمة - - - لا أكتب بخط يدي ولعلكم تدركونه
أرجو المعذرة لأني لا أكتب بخط يدي ولعلكم تدركونه
أديري اليمنى معافة منذ سنوات .

ندعو لكم ونألكم الدعوات

والسلام عليكم ورحمة الله الخالص

حانه حموت

لكم وللزوجة غنمة والأخت سارة وأسرتهما
يقلم زوجته مع تحياتنا

علوطة : هناك لينة التصويبات بينها بشرط
عمراء وأهلنا رفاً على لست الأمر
على من يرجع

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الفاتحة

ميّز الله الإنسان بالتذكّر والتأمّل والتدبّر، وهي ميزات تستحقّ أن يُفرد لها الوقت اللازم والجوّ المناسب.

وقد جرى طبعي على ضرورة إفراد وقتٍ لهذا النشاط الذي لا أعتبر الإنسان بغيره إنساناً.

وأحبُّ في هذا الكتيب أن أشرك معي من شاء في بعض هذه الذكريات والأفكار.

والذكرى تنفع المؤمنين.

والفكر سمة الإنسان الذي فضله الله بها على ما خلقه ومنّ خلق.

والحمد لله في البدء والختام.

حسان

صوت الصمت

تطلُّ شقتي الصغيرة في كاليفورنيا على حديقة جميلة ومساحة من التلال الخضراء، وعادة أقول لعائلتي: «عندما تروني مسترخياً على مقعدي، أحملق في الفراغ، ولا أعمل شيئاً، فرجاءً عدم الإزعاج، فأنا أكون غارقاً في العمل».

فلقد أصبح وقت السكون هذا مرةً أو مرتين كل يومٍ جزءاً لا ينفصل عن حياتي، بل ثبت أنه الأكثر قيمة لدي، حيث تتراكم أفكارى وكوامن نفسي على صفحة عقلي مثل قطرات الندى، وتطفو حلولاً للمشكلات وإجاباتٍ عن التساؤلات، حيث أكون قريباً من الله، وهذا القرب هو الذي يلهمني إدراك ما يريد الله أن أفعله.

إن حياتنا الحديثة - لسوء الحظ - حرمت معظم الناس من ثمار «الوقت الهادئ»، فقد شغلت كل ساعات صحوهم، وما يتبقى من وقتٍ يضيع بين مشاهدة التلفاز، أو الانغماس في وسائل السمر الأخرى.. دون وعي لما يضيع منهم .

لقد ولدت أوقات السكون هذه لدي أفكاراً وجّهت حياتي، واتخذت سبيلها إلى أحاديثي وكتاباتي، وأشعر بمزيدٍ من الرضا عندما أتبادل بعضاً منها مع شخصٍ يولي هذا الأمر اهتمامه .

آفاق الفكر في عقل مسلم

احتذاءً بالأساليب الأدبية حاولتُ وضع خلاصة للدعوة، عندما رغبت في تأليف كتابٍ عن الإسلام .

ولم أجد بغيتي إلا في القرآن الكريم، حيث يخاطب الله رسوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧، وإذا شبهنا الإسلام بمبنى، فيجب أن تكون خلاصة الدعوة أساسه، وهي أهم جزءٍ في المبنى على الرغم من عدم ظهوره فوق سطح الأرض، وبدون تماسك هذا الجزء من المبنى يصبح آيلاً للسقوط.

ويتألف مبنى الإسلام من طوابق ثلاثة:

(١) الطابق الأول:

يتمثل في العبادات، وهي أركان الإسلام الخمسة، وهذا الطابق مرتبط بالطابقين الآخرين، كارتباط طوابق المبنى المختلفة بالسلالم والمصاعد .

(٢) الطابق الثاني:

يتمثل في المعاملات والعلاقات الإنسانية (الأخلاق والمعاملات)، ويستوجب اتباع أفضل المعاملات والعلاقات الإنسانية في التعامل مع الآخرين، وقد عرّف الرسول - صلى الله عليه وسلم - الدين بأنه «الدين المعاملة».

(٣) الطابق الثالث:

يمثله النظام القانوني الذي وُضع لخدمة الطابقين الآخرين، ومن الطبيعي عدم استطاعة الأقلية المسلمة في مجتمع غير مسلم أن يفرضوا نظاماً قانونياً (الشرعية)، ولكن عليهم ممارسة دورهم كمواطنين صالحين في تقديم المساعدة للآخرين من خلال الممارسات الديمقراطية في تشكيل النظم والقوانين التي تحقق التوازن بين المصالح الخاصة والصالح العام والمثل الأخلاقية على وجه العموم.

الحب

شاهدتُ خلال حياتي تقسيمات مختلفة للبشر: أسود وأبيض، شرقيّ وغربيّ، فقير وغنيّ، شمالي وجنوبي، مثقف وأمّي... نحن وهم، مؤمنون وكفّار.. ثم نجد مَنْ يؤمن بالإسلام أو اليهودية أو المسيحية... وغير ذلك.

وقد خلصت - بعد أن قاربتُ ذروة حياتي على هذه الأرض، وتعمقت تأملاتي في الإسلام - إلى أنه لا يوجد سوى نوعين فقط من الناس: مَنْ يحملون في قلوبهم المحبة، أو أولئك أصحاب القلوب القاسية!

وفي اعتقادي أنه إذا تمكّنا من التعامل مع هذا التصنيف كان ذلك أساساً لحلّ جميع المشاكل التي يعاني منها البشر، ولأصبحت المشكلات العسيرة يسيرة.. وأشبه ذلك برجلين: أحدهما يلبس نظارة خضراء، والآخر يلبس نظارة حمراء، فكلاهما ينظر إلى نفس الشيء، لكنه يراه بلونٍ مُخالفٍ.

وهنا يجب على علماء الدين أن يكون شغلهم الشاغل نقل القلوب من الكراهية إلى الحبّ.. ويستلزم ذلك إخلاص النية لله تعالى، وليس نظرتهم القاصرة والآنية لله سبحانه، فلا بد من القيام بذلك لندرك ثمرته.

رمضان (عيد قوة الإرادة)

الشهر التاسع من السنة الهجرية، ويأتي في فصول السنة المختلفة؛ لأن السنة الهجرية تنقص أحد عشر يوماً عن السنة الميلادية.

وفي رمضان يمتنع المسلم عن تناول الطعام، ويمتنع عن الشراب والمعاشرة الجنسية بين الزوجين أثناء الصيام، كما ينبغي أن يمتنع عن التدخين والغضب.. وشتى أصناف السلوكيات غير الأخلاقية.. وتمتدُّ فترة الصيام من الفجر حتى غروب الشمس.

وإذا صرفنا النظر عن الجانب الشعائري فإنني أرى أن رمضان يمثل (في المقام الأوّل) تميّز الإنسان على الحيوان.. فليس هناك حيوانٌ يقوم بمثل هذا الفعل بإرادته، ومن أجل تحقيق هدفٍ سامٍ.

وكما أن الرياضة - كرفع الأثقال - فيها إجهاد للعضلات... فإن هذا الإجهاد يثمر في تقوية جسم الإنسان، والصيام يعظّم من إرادة الإنسان.. تلك الإرادة التي نحن في أشدّ الحاجة إليها في الوقت الراهن.

وأرى - مع جموح خيالي - أن نضيف «عيد قوة الإرادة» على صورة يوم من شهر رمضان، ويحتفل به العرب كالأحتفالات بالأعياد المختلفة: كعيد الأمّ وعيد الأب وعيد الشكر... إلخ.

ويبقى تأكيدي الأثر العميق لشهر رمضان على عالمنا المضطرب!

سلاح الشعارات

ليس بالأمر الجديد الترويج لشعار معين؛ من أجل نشر فكرة ما، ففي أوقاتنا الحاضرة نرى شعارات مثل: «انشر الحب .. وليس الحرب»، كشعار يعارض حرب فيتنام، وشعار «كن ما أنت عليه»؛ ترويجاً لسلوكيات معينة ماجنة .
وأقترح أمثلة لشعارات يمكن للمسلم ترويجها على أوسع مدى، مستغلاً أدوات مثل: الإنترنت، والطباعة، وبطاقات المعايدة، والملصقات، والحضر على الأعلام، والمفكرات، ولوحات الإعلان، والطوايع .. وغير ذلك .

وهذه بعض الأمثلة:

- «تكون ما أنت عليه» .. لا «كن ما يجب أن تكون» .
 - «لا لفجوة الأجيال» .. «نعم لتواصل الأجيال» .
 - «لا لضغوط الرفاق» .. «نعم لنداء الله» .
 - «رُبك .. ربِّي أم ربَّنَا!»
- (صاغتھا ابنتي إباء في طفولتها، وهي الآن أستاذة في طبّ الأطفال).

حبّ الظهور

حذارٍ من شَرِك «حبّ الظهور»، ولا تخجل من أنانية عملك في سبيل الله، وتذكر أن فائدة قطعة السكر في عدم إبقائها على شكلها المكعب، فهي تذوب في فنجان الشاي لتحلّيته.. فعليك أن تذوب كقطعة السكر، واجعل جزئياتك وسلوكياتك تعطي الحلاوة، حتى إذا لم ترها.. المهم الحلاوة، وهنا يكمن قدرك الحقيقي.

مسلمون ونصارى

اللَّهُ قَدْ أَرْسَلَ الْأَدْيَانَ هَادِيَةً
لَمْ يَرْسَلِ اللَّهُ لِلْعُدْوَانِ أَدْيَانًا
كَانَ الْمَسِيحُ رَسُولَ الْحَبِّ دَانَ بِهِ
طِفْلاً وَكَهْلاً وَأَفْعَالاً وَوَجْدَانًا
ابْنُ الْبَتُولِ وَرَوْحُ اللَّهِ عَلَّمَنَا
نَبِيَّنا حَبَّه مَحْضاً وَرَبَّانًا
وَقَوْمَهُ أَهْلَ قَرِيَانَا وَإِنَّ بِهِمْ
فِي مِصْرَ رَسُولَ اللَّهِ خِيْلَانَا
وَإِنَّ مِنْهُمْ قَسِيْسِينَ يَأْمُرُنَا
كَتَابًا أَنْ نَصَافِيْهِمْ وَرُهْبَانَا
وَاللَّهُ خَالِقُنَا اللَّهُ خَالِقُهُمْ
وَإِنَّ عِيْسَاهُمُو فِي الدِّينِ عِيْسَانَا
عِيْسَى الَّذِي لَمْ يَمَسَّ الْكُرْهُ خَاطِرَهُ
إِلَّا بِأَنْ يُوْذِيَ الْإِنْسَانَ إِنْسَانَا
إِنَّ الَّذِي مَدَّ نَحْوَ النَّاسِ أَيْدِيَهُ
بِالْقَتْلِ قَدْ خَانَ إِنْجِيَالاً وَقَرَّانَا

الحكم المنحاز

بعد انتهاء مباراة كرة القدم بين الفريقين: الأزرق والأخضر، علّق حَكَمُ المباراة بقوله: «لقد أجاد الفريق الأزرق»، فرد أحد المشاهدين: «وماذا عن الفريق الأخضر؟ أعتقد أن لاعبيه أجادوا أيضاً».

فرد عليه الحكم قائلاً: «الفريق الأخضر!! أنا لم أره». ما سبق قد يبدو تصرفاً سخيفاً وغير مقبول، ولكن هذا ما يحدث بالضبط في عالم السياسة.. يحدث بشكل متواتر، حتى اعتبرناه قاعدة ثابتة. ما عليك إلا أن تنظر وتدقّق في عالم السياسة (وبخاصة السياسة الدولية)، وسترى عجباً!

الأسلحة الذرية

الدعوة إلى حظر استخدام الأسلحة النووية أمر يربك العقل؛ لأنها تصدر عن الدول التي تنتجها وتستخدمها بالفعل.. والمشكلة لا تكمن في استخدام الأسلحة النووية في هزيمة دولة ما في الحرب، بل في الغبار الذري الذي ينتشر في أجواء الكرة الأرضية.. ويؤدي إلى دمار شامل، وبالتالي لم يعد هناك فائز أو خاسر.. فالجميع صاروا ضحايا.

والحلّ الوحيد يكمن في التخلص من الأسلحة الذرية تماماً، ولا أعني بذلك التوقف عن إنتاجها.. فلن يحدث ذلك! فهناك إجابة وحيدة ستصلنا من الصقور، وهي: «ولكن هناك عدم ثقة».. وبذلك يصبح من المنطقي أن تكون الإجابة: مطلوب (بناء الثقة)... وهذا بحاجة إلى دراسة دقيقة لعدم الثقة، أسلوبها وطرق التعامل معها.. وممّا يدعو إلى الدهشة ألا نجد ذلك في ظلّ قمة الحضارة الإنسانية!

أسلحة الدمار الشامل

يعتقد الكثيرون أن أسلحة الدمار الشامل تشير إلى الأسلحة الذرية، وأدوات الحرب المدمرة التي تنتجها الصناعة العسكرية.. وبنظرة أشمل نكتشف أن هناك تهديداتٍ أكثر خطراً!!

أليس في انتشار الجريمة تهديداً أسوأ؟!

أليست الخمور والمخدرات تعادل الأسلحة الذرية وتفوقها؟!

أليست الثورة الجنسية وما يتبعها من تفكك أسري وتفشي الأمراض كالإيدز

ووجود اللقطاء.. أليس ذلك تدهوراً للطهارة والنقاء؟!

وماذا عن الخرق الفاضح للأخلاق في مجالات التجارة والصناعة، والذي

انكشف أخيراً من قبل أكبر الشركات والمؤسسات؟!

أليست العنصرية وتمايز اللون والاستعمار والاستغلال الأناني للرجال والنساء

في بعض البلدان من أسلحة الدمار الشامل؟!

كُنْ مِثْلَ الْإِبْهَامِ

إصبع الإبهام من أصابع اليد الخمسة، وعلى الرغم من كونه أقصرها إلا أنه أكثرها أهمية:

- فهو الإصبع الوحيد الذي يصل إلى باقي الأصابع بسهولة.
- الإبهام هو الأساسي في الإمساك بأي شيء له وزن بين إصبعين.
- يلعب الدور الكبير في الإمساك بالقلم، ومن ثم يلعب دوراً أساسياً في الكتابة، التي تمثل قمة صعود البشرية، ويصدق ذلك على دوره في الفنون الجميلة.
- إذن.. فالناس يماثلون أصابع اليد، وأحبُّ أن أكون إبهاماً، لا أصابع أخرى.. على الرغم من تزيّنها بالذهب والجواهر والماسات.

عندما يتمزق السلام إرباً

يدرك أيُّ طالبٍ في القرن الحالي أن سبب الحرب العالمية الثانية معاهدة «فرساي» التي فرضها الحلفاء المنتصرون في الحرب العالمية الأولى على ألمانيا المهزومة، وهيأت الظروف لإنجاب أدولف هتلر، وأتت به إلى السلطة، ومن ثمَّ إلى حرب مدمرة أخرى.

وبعد الانتصار في الحرب العالمية الثانية أدركت الدول المتحالفة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية تلك الحقيقة.. وبدلاً من الانتقام مدّوا يدَ العون إلى الطرف الآخر، ولعل مشروع «مارشال» وغيره من المشروعات أدلَّ على ذلك.. وهذا ما أنقذ أوروبا من السقوط في هاوية الشيوعية، وتجنب حرب عالمية ثالثة.

إن السلام ما لم يكن متبادلاً، فسوف ينقطع إرباً.. والنصر الحقيقي ليس نصراً عسكرياً على العدو، بل يكمن في أن يصبح العدو صديقاً.. وغالباً ما تخبو هذه الحقيقة البسيطة في ظلِّ أجيال من القادة والسياسيين، وتكون العواقب وخيمة.

وما زال تساؤلُ ينتابني: ماذا سيحدث للصراع الإسرائيلي الفلسطيني؟

من ذكريات الحرب: عدوي الصديق

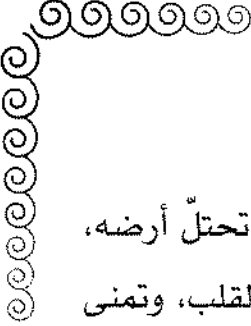
في عام ١٩٤٨م كنت شاهد عيان للحرب بين إسرائيل الناشئة وبعض الدول العربية.. فقد كنت طبيباً حديث التخرج، أُرسلت إلى مستشفى في المطار المدني الذي أُخِلي في مدينة «الرملة»، وعندما كانت «الرملة» تحت الحصار أُحضر سبعة مهاجمين إسرائيليين مصابين إلى هذا المستشفى.. تجمهر عددٌ من الناس لقتلهم والفتك بهم؛ انتقاماً منهم، لأنهم قتلوا أفراد عائلتهم.

وقفتُ على السلم وذراعاي ممدودتان؛ لأمنعهم من الدخول، وقلت: «على جثتي»، فالقرآن يأمرنا بالإحسان إلى أسرى الحرب ورعايتهم، ومن خلال كلمة متضمنة بعض آيات من القرآن الكريم وقعت على مسامعهم، تفرَّق المتظاهرون، وقدموا الاعتذار.

أجريت عمليات جراحية للمصابين، ثم تسلّم الصليب الأحمر ستة منهم بعد أيام قليلة، وظل سابعهم يُعالج؛ نظراً لخطورة إصابته.

تجاذبنا - أنا والمصاب اليهودي - أطراف الحديث، حتى صرنا صديقين.. كان في شوق بالغ لرؤية طفله ابن العام الواحد، وعندما تسلّمه الصليب الأحمر شدّ على يديّ قائلاً: «أنا مدين لك بحياتي».. مرت السنون، ومنها «حرب الستة أيام» التي هزمت إسرائيل خلالها الدول العربية المبتلاة بحكومات كانت السبب الأساسي في الهزيمة.

وفي عام ١٩٧٢م تسلّمت خطاباً من سويسرا بتوقيع لا أعرفه، ذكر هذا الرجل أنه كان يحاول معرفة مكاني طوال أربعة وعشرين عاماً، حتى استدلّ على عنواني في فندق بفيينا (النمسا)، كنت هناك أقضي إجازتي، أسهب الرجل في الحديث عن أخباره، وذكر أنه وعائلته متشوقون لمعرفة، وأوضح استعداداه لعمل إجراءات زيارتي إلى إسرائيل، غامرت بالردّ عليه على عنوانٍ أرسله لي في



سويسرا، وأخبرته أنه من المستحيل أن يزور عربيّ إسرائيل التي تحتلّ أرضه، وبعد عدة أسابيع راسلني مُخبراً إياي بخضوعه لجراحتين في القلب، وتمنى زيارتي له، ولم يكمل الرسالة، وظلت مساحة منها فارغة، بدون التوقيع عليها. اختتمت الرسالة بخط آخر، تقول صاحبتة: «بعد أيام مات عن عمر أربعة وأربعين عاماً».

وجدت زوجته هذا الخطاب بين أوراقه، وكانت حريصة على أن يصل إليّ.. وتُكمل: «بفضل جهودكم أتيج له أربعة وعشرون عاماً من الحياة السعيدة مع الزوجة والعائلة...».

دردشة مع أستاذاي

في خمسينيات القرن الماضي سافرت إلى إنجلترا لمتابعة دراساتي العليا وفي
غرفة التشريح في كلية الطب، جامعة أدنبرة، قابلت لأول مرة أستاذاي د. دونالد
روبينسون.. وسرعان ما وجدته من أنبل الرجال الذين عرفتهم في حياتي.. ولكسر
الجمود وإقامة تعارف سألني عن بلدي، فقلت:

«من مصر»، فسألني: «ما رأيك في إنجلترا؟»

أجبت: «أجدها جيدة فيما عدا أمرين»

في لهفة سألني عنهما، فقلت: «الأمر الأول هو أن بريطانيا تتمتع بالديمقراطية
الحقيقية، ولكن عندما تحتل بلداً آخر، فإنها تحرم شعبها منها، كما حدث مع
بلدي وبلدان أخرى.

سكت برهة، ثم سألت: «وما الأمر الثاني؟»

أجبت: المعاملة غير العادلة التي تتعرض لها النساء في بريطانيا، وأعتقد في
العالم الغربي جميعه.

وقف فاغراً فاه في دهشة، وبخاصة أن التعليق من عربيٍّ مسلم، يُنعت شعبه
بتهمة منتشرة عن سوء معاملة النساء، واعتبارهنّ مواطنات أدنى منزلة.

وعندما طلب تعليلاً وتفسيراً أخبرته أنه في الغرب وتحت شعار زائف للحرية
يمكن للرجل الاستمتاع بالمرأة دون أدنى مسئولية يتحمّلها، تحت شعار تساوي
الحقوق والمشاركة في المتعة المتبادلة، وفي ظل تلك الفلسفة أرى أن النساء هنّ
الخاسرات على طول الخط.. إذا استمتع بها الرجل وهجرها، أو إذا حملت
فأجهضت، أو إذا ولدت فتنازلت عن وليدها، أو إذا التزمت بابنٍ بغير أب.. فهي
الخاسرة على طول الخط، وليس ذلك عدلاً.

بحماسٍ شديد أبدى أستاذاي اتفاقه معي، واكتشفتُ أنه كان يشاطرنى نفس
الآراء، وكانت تلك بداية صداقة قوية دامت عقوداً، واستمرت مع ابنته وابنه بعد
وفاته، وما زلتُ أكنّ لهما المعزة.

الوقاية خيرٌ من العلاج

في إحدى القرى على سفح جبل، كان هناك بعض الأطفال يلعبون، فسقطوا ولقوا حتفهم، تبني الكبار الحكماء فكرة بناء مستشفى على سفح الجبل؛ لاستقبال المصابين في المستقبل، ومحاولة إسعافهم.

لم تكن الفكرة واضحة كثيراً، ولم تكن ذات فاعلية كبناء سور حول القرية، يمنع الأطفال من السقوط من علٍ... والمذهل أن ذلك لا يزال موضع تندر بين أدعياء العلم والمعرفة.

فماذا لو تمَّ تبني منطق إقامة السور بدلاً من إقامة المستشفى؟
أما كان من الأحرى أن يمنع هذا المنطق الكثير من معاناة الإنسانية المعاصرة التي تمتدُّ من الحروب والجرائم إلى الإيدز؟
وهذا قليلٌ من كثير!

رجال دولة إزاء رجال سياسة

في خمسينيات القرن الماضي عشت أعواماً قليلة في بريطانيا.. وخلال تلك الفترة تفشت في الدولة عدوى السرقات المسلحة للبنوك، وحدثت أزمة سياسية، وتفجرت صيحة احتجاج شعبية.

وفي مناظرة ساخنة في البرلمان بين الحكومة والمعارضة أقت المعارضة اللوم على الحكومة، وطالبوا بوجود شرطي مسلح في كل بنك، (وقتها لم يكن ضباط الشرطة يحملون أسلحة).

وما زال ردّ رئيس الوزراء البريطانيّ - في ذلك الوقت - «هارولد مامكيلان» يدويّ في أذني، حيث قال: «نحن غير راغبين في التضحية بأسلوب حياتنا في محاولة يائسة لحمايتها».

• أحياناً يكون من المُحزن أن نرى كثيراً جداً من رجال السياسة.. وقليلاً جداً من رجال الدولة.

قال المسيح

قال السيد المسيح: «اللَّهُ محبة».. وقال كذلك: «كان يقال للسابقين أحبُّوا أقاربكم واکرهوا أعداءكم، ولكني أقول لكم: أحبوا أعداءكم وباركوا من يلعنونكم، وصلُّوا من أجل مَنْ يتعدون عليكم».

ولأنني مسلم، فأنا شديد الإيمان بذلك، وكم كنت أتوقع أن يؤمن المسيحيون بذلك، فإنني أشعر بالدهشة والأسى وأنا أجد الكثيرين منهم لا يفعلون! فعلى شاشات التلفاز.. وعلى محطات الراديو استمعت كثيراً إلى رجال الدين المبشرين، وهم يصبون أحقادهم وانتقاداتهم على المسلمين مدعمين آراءهم بادعاءات كاذبة ومعلومات مشوّهة.. فهم ينشرون الكراهية لا المحبة، كما أمر السيد المسيح.

ولا تقتصر هذه المشكلة على المسيحيين، فمن بين المسلمين واليهود وأصحاب الديانات الأخرى مَنْ يبثُّ الكراهية متحدين تعاليم العقائد السليمة. وقد تعلمت من القرآن الكريم أنه ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ فصلت: ٢٤ فمن المحزن أن ترى الناس تحت ستار الدين، ومنهم من يتخبطون دون تعمد ويتعدون حدودهم إلى غياهب الزيف الديني.

آل إبراهيم

كان إسماعيل وأخوه إسحاق الذي يصغره بأحد عشر عاماً يعيشان في بقعتين مختلفتين؛ بسبب البغضاء بين الأميين: (هاجر الأمة، وسارة).. لكنهما تلاقيا لرعاية أبيهما، وهو على فراش المرض، وقاما معاً بدفنه في مدينة الخليل بأرض فلسطين، وكلمة (الخليل) تعني «خليل الله».

وقد دخل إسحاق في مناوشات مع توأمه الأكبر عيساو حول مباركة أبيهما، وما لبث أن اتفقا وتصالحا.. بعد ذلك تزوج «عيساو» «ماحالات» ابنة عمه إسماعيل، أمّا ابن إسحاق والذي سمي بعد ذلك بـ (إسرائيل) فقد أنجب اثني عشر ولداً من بنتي عمه: ليا وراسيشل، ومن عبدتيهما: زيليا وبلحا.. وحاول الأبناء الأحد عشر التخلص من أخيهم يوسف، بأن ألقوه في غياهب الجب: أملاً في موته.

وعثرت على يوسف قافلة من (الإسماعيليين)، وكان ذلك فاتحة خير لمستقبل باهر ورسالة سامية.. أخذوه وباعوه، ليصل في النهاية إلى السلطة وإلى إنقاذ مصر وجيرانها من شبح المجاعة، وتمّت المصالحة الرائعة. وبمرور الأيام ساءت أمور بني إسرائيل في مصر، ولقوا صنوف الاضطهاد على يد فرعون طاغ، كان يسيء معاملة رعاياه المصريين أيضاً (حتى في تاريخنا الحديث هناك ديكتاتوريون يقتلون أعداءهم بالغاز المسموم ويفعلون ذلك أيضاً مع رعاياهم).

في آخر الأمر أنقذ الله موسى ومَن معه من بني إسرائيل، إذ فرّق لهم البحر الأحمر، وأغرق فرعون وجنوده.

ما سبق هو قصة (عيد الفصح) كما جاءت في سفر التكوين، وكذلك في القرآن.. ولكن يجب أن نعرف أن تلك المناسبة تتمثل في احتفال إسلامي أحياه

الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - ويحييه المسلمون في العاشر من شهر المحرم من كل عام هجريّ.

ويجب أن نعلم أن الاضطهاد والتعذيب وما لاقاه اليهود لم يكن على أيدي المسلمين، ولكن كان ذلك في أوروبا قبل المسيحية وبعدها، والدليل على ذلك المذابح المنظمة الكثيرة، ومحاكم التفتيش والأهولووكوست (محارق هتلر).

ويقرأ «أبا إيبان» عدالة المسلمين في كتابه (قومي)، حيث يتحدث عن الإسرائيليين قائلاً: «نعم شعبي بالعدالة مرتين فقط على مدى تاريخهم، في ظلّ الإسلام بأسبانيا (الأندلس)، والآن في الولايات المتحدة».

ولوعدنا أدراجنا إلى التاريخ - ونحن نشهد الآن الصراع العنيف على فلسطين - وحاولنا استشراف المستقبل، وسبرنا غور الديانات الإبراهيمية الثلاث، لامتلأنا أملاً في أن تعود أرض السلام، وأن تصبح القدس بؤرة التقاء إشعاعات الله بدلاً من أن تكون عدسة تفرقة، كما يريد لها البعض.

الحاخام هيليل

ذكر تاريخ اليهود «رابي هيليل»، ويعرف أيضا بـ «هيليل الأكبر».. وبما أن اليهودية تراث مشترك للديانات الإبراهيمية الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام، فنحن- المسلمین- نؤمن بأنها حلقات ثلاث في نفس السلسلة. لذلك أرى اقتباس أحد مآثورات هيليل، والذي يلقي قبولا من الجميع. اقترب منه شاب وسأله: «هل تستطيع أن تشرح التوراة وأنا واقف على ساق واحدة؟»

فأجاب «رابي هيليل»: «افعل مع الناس ما تحب أن يفعلوه معك.. هذه هي التوراة، وماخلا ذلك فهو حاشية لها، اذهب وادرس ذلك». ولو اتبع جميعنا هذه المأثورة لكان في الإمكان تبادي الكثير من الآلام في بقاع العالم: شرقه وغربه، وشرقه وغربه الأوسطين!

الموت

عَرَفَ الإنسان الموت منذ معرفته بالحياة، ولكنه أقلُّ ألفةً وتقبلاً لنهاية حياته (الموت).. الموت تنويج للحياة، ولا يمكن أن تكون الحياة كاملة ما لم ينلها الموت. الموت ليس بشرُّ، بل هو الخاتمة المحتومة للحياة، ويمرُّ الموت عبر بحر حياته حتى يصل إلى الشاطئ الآخر، في رحلة تختلف فيها المدة باختلاف الأفراد. ومن رحمة ربنا علينا أننا لا نعرف متى نموت، وإلا كانت الحياة لا تطلق، كذلك لا يمكن أن يكون الموت هو الفناء كما يظنه البعض، والذي يليه هو العدم، وإلا كان معنى ذلك أن من يستمتعون بالباطل، ومن يجاربونه سينالهم نفس المصير، وهذا ما لا تقبله فطرتنا الإنسانية. فمن الحكمة - إذن - أن نستعد ليوم الحساب، حيث تكون كلُّ نفسٍ بما كسبت رهينة.

«فرانك بوخمان».. «شفاء جروح العالم»

«فرانك بوخمان» واحد من الذين اعتلوا قمة هرم رجالات القرن العشرين، قرأت عنه من خلال شذرات متناثرة في الصحف، ولكنني عرفت كثيراً من التفاصيل عنه من أستاذه «دونا لدرو برتسون» في كلية الطب جامعة أدنبرة باسكوتلاندا.. لذلك عزمت على مقابلته شخصياً.

ذهبت إلى «كوكس» بسويسرا، وكان هذا اليوم يوم ميلاد «بوخمان» الثمانين.. كان لقائي به تجربة غاية في الروعة وعلامة ذات أهمية في تاريخ حياتي.

قام «فرانك بوخمان» بتأسيس مجموعة أكسفورد بعد الحرب العالمية الأولى، فقد كان يؤمن بأن السلام سَيَعْمُ يوماً بين شعوب العالم، إذا نذر الناس حياتهم لله، وتوجهوا شطر الإخلاص الكامل والنقاء والإيثار والحب.. ولذلك أحاط به «فرانك» أعداد كثيرة من مريديه في بلدان كثيرة، كما لم يسلم من الهجوم المرير من الأيدولوجيات المادية

ومع صعود نجم «أدولف هتلر» تجمعت سحب الحرب في أوروبا، وهنا نادى «بوخمان» بعودة «التسلح الأخلاقي MRA» التي يطلق عليها الآن (بإدارات التغيير)، وصار المسمى الجديد لأعماله، وانضم العاملون لعودة «التسلح الأخلاقي» إلى القوات المسلحة عند نشوب الحرب العالمية الثانية؛ دفاعاً عن الحرية وعن بلدهم.

ساند «بوخمان» الحرب على الفاشية، وعلم أن الأمر يتطلب صراعاً روحياً عند التعامل مع المفاخرة الدولية والكراهية والخوف والجشع الذي يقود إلى الحرب.. فبدأ في التخطيط من أجل المصالحة في الفترة التي تعقب الحرب، فأقام في «كوكس» بسويسرا مقراً لمؤتمر عودة «التسلح الأخلاقي»، عن طريق العقلاء من نظرائه.. الفقراء والأغنياء على حد سواء.

ودعا إلى مؤتمر عُقد عام ١٩٤٦ في مبنى فندق (ماونتين هاوس) السابق، ونوافد إليه أناس من فرنسا وألمانيا ومعظم الشعوب المتحاربة، وشاهدوا رؤية جديدة لما يمكن أن يفعلوه معاً وقت السلم.

وبعد سنتين عاماً مازالت «كوكس» تستضيف عدداً من المؤتمرات والاجتماعات التي تصادق على مبدأ أساسي يمكن تلخيصه في كلمة واحدة هي (التغيير)، وهي شعار إعادة التسليح الأخلاقي MRA، حيث الدعوة إلى شفاء جروح العالم. ولقد لمس مبدأ «إعادة التسليح الأخلاقي» شغاف القلوب، وغيّر من مفاهيم أعداد لا تُحصى من البشر، فكان مثل البذور المنثورة، حملته الرياح إلى كافة أركان المعمورة، تؤتي أكلها فوق ما يحلم به البشر.. وتبدو عملية التواصل بطيئة، ولكنها السبيل الوحيد لتغيير العالم.

كان «بوخمان» شديد الهدوء ذا حديث هادئ، له روح خفيفة، وظلّ تأثيره ممتداً إلى ما يزيد على أربعين عاماً بعد وفاته.

الحرية

«الحرية» هي الدرس الأساسي الذي تعلمته من دراستي للدين طوال هذه الحياة، ونجد الحيوانات تتصرف بدافع غريزتها، والملائكة تفعل الخير طيلة الوقت؛ لأنها لا تعرف الشر.. أمّا نحن- معشر البشر- فنشارك الحيوانات في غريزتها واحتياجاتها البيولوجية، ولكننا مجبولون على التمييز بين الخير والشر، ولدينا قوة متأصلة للخيار بينهما.. لذلك فنحن مسئولون عن خياراتنا الحرّة. ولا يمكن أن تقع أيّة مسئولية من دون الحرية.. فالشرّ - أحياناً- يكون مغرياً، ويكون الحقّ صعب المنال، ولكن علينا أن نقرّر أيّ طريق سنسلكه. لذلك.. يكون كبت الحرية - سواء أكان عن طريق ديكتاتور في الداخل أم عدوّ في الخارج - اعتداءً على الإنسانية نفسها، حتى لو كان هناك رغبة في العيش ومزيد من متع الحياة.

(يظلّ الطائر حبيساً حتى لو كان في قفص من ذهب).

قواعد أساسية

شكّلتُ - خلال رحلة حياتي - قواعد معينة، ألتزمُ بها، وهي لي بمثابة البوصلة، أسترشدُ بها في مشوار حياتي.. وسأرصد هنا قليلاً من هذه القواعد:

- أفضلُ أن تكون الحياة سيئةً معي على أن تكون سيئةً بسببي.
- ربما أكون متعباً، ولا أفضلُ أن أكون منطوياً، فظالما أنا حيٌّ فهناك عملٌ، يجب عليّ أدائه، أو رسالة لا بد من توصيلها.. وهذا حقُّ الإنسانية على كلِّ البشر... فلن أموت قبل أن تحين وفاتي، وإلا كان نوعاً من الانتحار المعنويّ أو الجسديّ... ولو أُقْعِدْتُ عن العمل، فلا يزال هناك ما أفعله.. الصبر.
- ليس هناك إنسان يتعذر على الآخرين بلوغه، بشرط أن يصل إلى رقم تليفونه النفسيّ ويديره.
- ليس المهمُّ أن تقدّم النصيحة.. الأهمُّ أن تحدّد متى وكيف تقدّمها.

النسبة والتناسب

١ لا يعادل ١٠٠٠ ومع ذلك فإن $1/1 = 1000/1000$ فلا يصح أن نقارن البسط دون أخذ المقام في الاعتبار، لذلك فمن الجدل العقيم أن نقول: «لنا حقوق»، دون أن نسأل أنفسنا: هل نستحقها؟ فلا يتوافق مع العدالة الإلهية أن يحصل المرء على حق لا يستحقه.

ولا تقل: لكن عدوي أكثر مني شراً؛ لأن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: «قد يعاقب الله شيطاناً على يد شيطانٍ أسوأ منه».

في السيرك

ذهبت إلى السيرك، وشاهدتُ القروود تلعب كرة القدم، والنمور تقفز خلال حلقات من النار، أما الأفيال فتسير على كرات مستديرة، وهناك حيوانات تقود درجات بخارية.

هذا قليلٌ من كثير.. حين فكرت فيما شاهدته، خطر على بالي سؤالٌ: إذا كانت الحيوانات قادرة على فعل ذلك.. فلمَ أياس من البشر؟! فالإنسان بطبعه متغيرٌ، ومن طبيعتنا أن نبحث، ونحقق «مبادرات التغيير» السليمة.

«ميمونيديس»

كان «ميمونيديس» (جوهرة وفخر الفلسفة اليهودية) تلميذاً للفيلسوف المسلم والقاضي الطبيب ابن رشد، وذلك في إسبانيا المسلمة. وعندما طُرد اليهود من إسبانيا مع المسلمين، استقرَّ «ميمونيديس» في مصر. وعمل طبيباً خاصاً لصالح الدين الذي حارب ملوك أوروبا الصليبيين بقيادة «ريتشارد قلب الأسد»، واستعاد القدس مرة ثانية بعد عقود من الاحتلال الصليبي.

وفي فترة حاسمة أصيب «ريتشارد قلب الأسد» بمرض خطير، حيث كانت هناك محاولة لتسميمه، بتدبير من زملائه الملوك الصليبيين، فلما سمع صلاح الدين بهذا الأمر، أُرسلَ «ميمونيديس» سراً، وقام بتطبيب «ريتشارد» وعلاجه. أعجب ريتشارد ب «ميمونيديس»، ودعاها أن يكون طبيبه الخاص، ولكن «ميمونيديس» لم يقبل هذا العرض، وفضل الرجوع إلى صلاح الدين.

وعندما هُزم المسلمون في إسبانيا على يد «فرديناند وايزابيللا»، نزح اليهود إلى البلدان الإسلامية بأعداد كبيرة، مما جعل الخليفة آنذاك يعلّق بالقول: «لقد أفقرُوا بلادهم وأثروا بلدي».

هذا تاريخٌ مَنْ قَبَلْنَا .. وعلى المرء أن يتساءل عمّا يخبئه لنا الغد بعد حاضرتنا المظلم، والذي نشهده الآن.

النشوء والخلق

من الأرض خلقنا الله، وإليها سنعود.. الذرات تكوّن الجزيئات، والجزيئات تتحدّ لتكوّن مُركّبات، وصولاً إلى الجُزيء (DNA)، الذي يستطيع أن ينشق إلى نصفين، يكمل كل منهما نفسه إلى جُزيء كامل، وبذلك يكون علم الكيمياء قد ترقّى إلى علم الحياة (البيولوجيا).

فالنباتات تتغذى من التربة، وأكلة النباتات يتغذون عليها، ويتغذى أكلو اللحوم على أكلة النباتات.. أمّا الإنسان فهو أكلٌ للنبات وللحوم.

وإذا لم يمّت الأحياء فسوف تُستهلك التربة التي هي أساسهم؛ لأنهم لن يجدوا تربة يعيشون عليها، أو يصنعون منها.

وفي الحقيقة لم تشغلني المعركة المستعرة بسبب فكرة النشوء والارتقاء.. لأن الإنسان لا يتميّز بجسده، ولا أرى اختلافاً ملموساً من الناحية التشريحية والجسمانية والنفسية. بين أفراد ما نسميه بالحياة العليا، ومنهم الإنسان.. فجميعهم أفراد في مملكة الحيوان.

ومع ذلك فإذا نعتني شخصٌ بأنني حيوانٌ سأتضايق، فأنا فردٌ في الإنسانية.. الإنسانية النبيلة، أفوق كوني كياناً حيوانياً، والذين لا يتخطى سقّهم عالم البيولوجية هم في الحقيقة حيوانات.

أمّا عن مكان ووقت وكيفية اكتسابنا هذا المكون الروحيّ الأساسي، فما زالت تلك الأمور غير معروفة لنا، ومن المؤكّد أن مصدره ليس الأرض.. فمصدره الخالق، وعندما يدركنا الموت، فما سيعود إلى التراب هو جزؤنا الترابيّ فقط، وليس أرواحنا.

الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي تجاوز عالم البيولوجية إلى عالم القيم، مع احتفاظه ببيولوجيته، فهي شيءٌ يفوق ويتجاوز أمورنا الجسدية وماديتنا.

الابتسامة

من الأمور المعتادة في حياتي اليومية فترة مناجاة، أقف فيها مع الله أبته عوزي وأحاسيسي طالباً منه العون، ومن الطبيعي أن يشمل هذا التضرع الثوابت والمتغيرات، ومن بين الثوابت في الأعوام الأربعين الماضية هذا الدعاء: «اللهم هب لي قلباً محبباً، ولا تحرمني نعمة الابتسامة».

تخلق الابتسامة - وهي النعمة الغالية - جواً من السعادة داخل كل نفس، بل فيما حولها، ويمكنها أن تلطف الموقف إذا احتدم النقاش بين زوجين أو صديقين أو حتى بين عدوين.. كما أن الابتسامة تفتح أبواب التصالح على مصاريعها، وتظهر تباشير الحلول المنشودة للمشكلات، والوجه البشوش الباسم عاملٌ فعّال في تطهير البيئة النفسية.

«الأسنان ليست عورة».. عبارة كنت أقولها لطالباتي الورعات عندما كنت أدرّس في الجامعة؛ فكُنّ يعتقدن أن من علامات التقوى أن تظهر على وجوههن الصرامة والجد إلى حدّ العبوس.

وأنا هنا أوصي كل إنسان بأن يرسم على وجهه ابتسامة دائمة.

أولادنا

هناك الكثير ممّا نتطلع إلى توفيره لأولادنا، كالحرص على صحتهم، وتوفير الملابس الجيدة لهم، وكذلك التعليم المناسب، والوظائف المناسبة، فضلاً عن الثروة الوفيرة التي نحرص على تركها لهم، وعلى الرغم من ذلك فإننا نضيّع حياتنا، ونتغافل عن أمر مهم جداً، وهو ضرورة إعطاء الأبناء جانباً من أوقاتنا .

وكلُّ منا يحرص على تحصين أبنائه من الأمراض قبل أن تصيبهم، فنسارع بإعطائهم التطعيمات ضد الأمراض، وذلك في الأوقات المناسبة.. مثل: الحصبة والدفتيريا والتيتانوس وشلل الأطفال؛ حتى يكون الصغار مستعدين لمقاومة تلك الأمراض قبل التعرّض لها.. إنكم تُعدّون الجندي للمعركة قبل وقوعها .

ومن المؤسف أن بعض أولياء الأمور لا يعطون التحصين الأخلاقي لأبنائهم، ممّا يؤدي بالسلب على الأبناء، حيث يشبون على الرذيلة وينغمسون في بحارها، ولا يكون لديهم أي مناعة، ومن ثمّ يستسلمون لتلك الأمراض .

وأفضل ما يرسمه المرء لأبنائه أهدافاً في الحياة، يعيشون من أجل تحقيقها، وتكون أسمى وأرفع من أهداف المرء الشخصية، ولعل هناك فسحة من الوقت، يمكن أن ينصح فيها المرء أبناءه، وتكون النتيجة بكل تأكيد تقبل الأولاد وحفظ توجيهات الوالدين .

ولا بد أن تعلم أنه لن تؤثر نصيحة في ابنك ما لم تكن أنت قدوته الحسنة في الحياة، فمن الممكن أن تلقن أبنائك أعظم الدروس دون أن تتبس ببنت شفة، ولا بد أن تتعلّم أن الأطفال أذكاء، وهم شديداً الملاحظة... وكان الله في عونك!

السباحة

كانت أول محاولة للسباحة في طفولتي، وكانت شديدة الإحباط، حيث غاصت رأسي في الماء، ومع تحريك ذراعي تبعاً للتعليمات دخل الماء في أنفي، ولم أستطع العوم.. عندئذٍ زودني مدرّب السباحة (طيب الله ثراه) بالنصيحة التالية: «ارفع رأسك فوق سطح الماء».

وعندما شببتُ عن الطوق، وصرتُ أبحر في خضم الحياة، أدركت أن نصيحة مدرّب السباحة لم تقتصر على حمام السباحة، لكنها تمتدّ إلى بحر الحياة. ومرة تلو الأخرى.. كانت تلك النصيحة ملاذي في مواجهة كثير من العواصف ومنقذي من كثيرٍ من الأزمات، حيث عصفت بحياتي كثيرٌ من الظروف القاسية، ولكنني لم انهزم أمامها، وضعتها بين قوسين، وما سمحت لها أن تضعني أنا بين القوسين.

وكنت عادة أردد في نفسي «لا يدوم هبوب العاصفة إلى ما لا نهاية»، وقد اكتسبت مناعة في المواقف التي تؤدي بكثير من الناس إلى الاستسلام للخوف أو الألم أو الغضب أو اليأس أو السلوك المتهور. وسأظل على الدوام أشعر بالعرفان لمدرّبي على كلماته الجميلة: «ارفع رأسك فوق سطح الماء».

السيدة لاوري (طيب الله ثراها)

رأيتها للمرة الأولى منذ سنوات عديدة في «كوكس» بسويسرا، في «ماونتن هاوس» لإعادة التسليح الأخلاقي M. R. A، كانت أثناء تناولها الطعام تجلس وحدها بجوار النافذة.. وقورة.. جميلة، تلفها هالة من الضياء.

كانت عضواً في المقاومة الفرنسية ضد الألمان أثناء الاحتلال الألماني لفرنسا.. كانت بطلة في عيون شعبها، لكنها كانت إرهابية في عيون الألمان.

بعد أن وضعت الحرب أوزارها، كانت من أكثر الناس محبة وتقديراً عند شعبها، وما فاق مقاومتها للألمان أثناء الحرب هو إصرارها على القيام بجولة في ألمانيا، والتحدث مع الشعب الألماني، الذي كان في ذلك الوقت من أبغض الشعوب إلى قلوب الفرنسيين.. فماذا قالت «لاوري» للألمان؟

لقد اعتذرت لهم عن شعور الكراهية الذي كانت تكنه لهم؛ لأنها أدركت أن الكراهية مدمرة للطرفين: الكاره والمكروه.. ورأت أن هناك مستقبلاً سعيداً ينتظره العالم، يحوم في الأفق؛ ليخلص العالم من الضغينة، ومن مشاعر البغضاء.

استتبع جولتها تجمّع بعض الشخصيات القيادية من فرنسا وألمانيا.. وفكر الجميع في مستقبل بلديهما، والعالم قاطبةً.. وكانت تلك مقدمة لمزيد من التطورات، التي انتهت إلى المصالحة والتحالف بين فرنسا وألمانيا.

فما أمس الحاجة في عالمنا اليوم إلى أناس مثل السيدة لاوري!

البورصة

معلوماتي واهتماماتي بالأمر المالي ضئيلة.. ذات مساء وأثناء مشاهدتي للتلفزيون عرّضت النشرة الاقتصادية قائمة طويلة بأسماء الشركات، وإلى جانب بعضها مؤشر نازل، يدلّ على هبوط سعر أسهمها، وفي أسفل القائمة مؤشرات صعود للبعض الآخر من الشركات، ويعني ذلك ارتفاعاً في أسعار أسهمها.

وزاد من دهشتي أن الرباحين ينتمون إلى الصناعة الحربية، مما أحدث لديّ هزّة عنيفة، وعند جمهور المشاهدين كما أرجو.

ففي ذروة الحضارة الإنسانية تكون صناعة الموت هي الأكثر ربحية بين جميع الصناعات.. وفي التو أعاد ذلك إلى ذاكرتي قصيدة كنت كتبها قبل سنوات، أعرض منها الأبيات التالية:

عندما ترى الغزلان الأسود تفرّ هاربة

فالأسود تلتهم الغزلان

ولكلّ منها عدوّ تهرب منه

ولكنها أمنة بين أهلها

ونحن فقط من نصنع القنابل

ونحن من يكّدس البنادق

لأن عدوّ الإنسان هو الإنسان

القيم إزاء الأسعار

منذ فترة وأنا أشاهد التلفزيون كانت هناك مقابلة بين مقدّم البرنامج وامرأتين جميلتين.. واكتشفت أنهما عاهرتان، وأن مقدّم البرنامج كان يحاول أن تفصحا عن جوانب عديدة من مهنتهما!

كانت المناقشة على المكشوف، وقد استخدم المحاور كلمة تربوية ، حيث سأل إحديهما: ماذا لو كان الزبون شديد القبح ومنفراً.. فهل تقبلين به؟ فأجابت: «هذه نقرة وتلك نقرة أخرى».. فما يهمني الفلوس!

كان الجواب بمنزلة صدمة لشخص له نفس خلفيتي الثقافية ونظام عقيدتي، فقد ترعرعت في مجتمع ينشد شيئاً اسمه الطهارة، ويقول أحد أمثالنا الشهيرة: «تجوع الحرّة، ولا تأكل بثديها»!

ولسوء الحظ فإن هناك توجهاً جديداً يُشكك في قيمة مثل هذا المثل الذي يحض على النقاء والشرف والطهارة.. ويبدو أن مثل هذه الكلمات في طريقها إلى الاندثار والمحو في ظلّ عصرنا الحديث.

تقاس الأسعار بالدولار.. وستظلّ القيم تتجاوز أي مقياس!

انقسام الشخصية

من موروثاتنا أن نُعلِّم أولادنا أن يكونوا صادقين، وأن يقولوا الحق. وأن يكونوا غير أنانيين، مستجيبين لحاجات الآخرين وأمورهم الحسية، والأهم هو الالتزام بالثوابت الأخلاقية، وما تمليه عليهم ضمائرهم.

وتمرّ الأيام، وعندما يكبر الأولاد يُصدم الإنسان؛ حينما يجد أنهم قد نبذوا تلك القيم، ومن المؤسف أن ذلك يظهر جلياً بين أصحاب النفوذ، والقادة السياسيين، وأباطرة الصناعة والتجارة، ورجال الإعلام، ورجال الأعمال.

وقد شهدت العصور الحديثة أمثلة فاضحة لمثل هذه السلوكيات، حتى في أرفع الدوائر، حيث تفتت الأنانية الشخصية والقومية على حدّ سواء، تحت ستار الوطنية وحبّ الوطن، وأصبح إنكار الحقيقة أو تشويهها أو طمسها أسلوباً للحياة العامة على المستويين: القومي والمحليّ.

وأتمنى من الكبار - وبخاصة منّ يحتلون مناصب قيادية - أن يتمسكوا بما تعلموه في طفولتهم وبراءتها.

وهذا - في رأبي - السبيل الوحيد لإنقاذ العالم من السقوط في غياهب الهاوية.

العفو

في بعض الأحيان يجمع بي خيالي المفرط؛ لأرى نفسي وقد بعثت بعد موتي، وسيق بي للحساب أمام الله تعالى، ويكون كتاب أفعالي في حياتي الدنيا منشوراً، لا تخفى فيه خافية.

سيعرض أمامي كثيرٌ من الآثام والخطايا وسيئ الأعمال (فالإنسان غير كامل)، وسأشعر بشدة الارتباك والقلق حين أسأل: «هل تعترف بكل ما اقترفته في حياتك؟».. فأقول: «نعم».. فيقال: «ماذا تريد إذن؟»، فأجيب: «العفو».. فيقال: «لننظر في حسابك إن كان فيه رصيدٌ كافٍ من العفو».

عندئذٍ.. أتمنى أن يكون لدي ما يكفي لسداد ديوني، وإذا طلبت العفو عنك، فيجب أن تكون أنت من العافين عن الناس.

«أن تعيش حياة من العفو».. أفضل تأمين لك لحياتك المثلى في المستقبل، سواء أكان ذلك العفو مع زوجتك.. عائلتك.. أصدقائك أم أعدائك أنفسهم. لا بد أن يكون العفو أفضل الجزاء.

فاكهتان: طازجة ومجففة

يمكن أن أحلق مع خيالي الشعري، وأقوم برحلات، وأزور أماكن، وأحضر اجتماعات، وأعقد محادثات.

ذات مرة كانت هناك مناسبة اجتماعية كبيرة، وكان من بين المدعويين سيدتان - جذبتنا انتباهي - إحداهما ضاربة في السن، ذات وجه متجعّد وشعر أبيض. صحتها معتلة، تجرّ نفسها متكئة على عكازين، عندما تتكلم تقطر حكمة، وكلامها يوحي بشعور من الأمن والرضا.

أمّا الأخرى.. فهي شابة.. باهرة الجمال.. متهلة الأسارير.. كانت فخورة ومزهوة بجمالها، هذا ما تعكسه مشيتها وحديثها وتكلّفها.

جمع الحديث بينهما.. تولت الفتاة الجميلة الشابة معظم الحديث، والعجوز لازمة الصمت، وفي ختام الحديث سألت الشابة: لكن.. من أنت؟ فأجابتها العجوز: أنا لست سواك.. ولكن بعد مرور عدد من السنين.

بين المطرقة والسندان « ١ »

لم أؤمن مطلقاً بالشيوعية، فقد كنت دوماً أعتقد أنه إذا خرج الناس عن طاعة الله تحتم رضوخهم للطغاة.. فإخضاع الفرد من أجل المجتمع سينتهي بإخضاع المجتمع؛ لأن المجتمع ليس سوى محصلة الأفراد .

وحسب تفكيري.. لم يكن سقوط الشيوعية دليلاً على صحة إطلاق العنان للرأسمالية التي ترفع شعار: «النمو المتواصل لرأس المال».. حيث لا يوجد هناك شيء دائم النمو في عالم محدود.. فعاجلاً أو آجلاً سينهار النظام، فكلّ يوم تظهر الشروخ في بنيانه .

ويكمن الأمل فقط في حفظ التوازن السليم بين الفرد والمجتمع، وأن يكون رأس المال - أيضاً - واعياً بواجباته كما هو حريص على حقوقه .

بين المطرقة والسندان «٢»

العقل البشري أعظم هبة للإنسان، جعله سيداً على الخلق من حوله، فهو الذي يعمل وسيظل يعمل على حلّ لغز الخلق الذي نحن جزءٌ منه، ويسخرّ العقل قوى الطبيعة لاستخداماته الطيبة كما نأمل.

أما الصدام بين العلم والدين الذي شاع لقرون، فلا أساس له.. ومن جانبي كمسلم، فإن القرآن الكريم هو كلام الله، وليس هناك كتاب يضاهيه، حيث أقرأ فيه قوله تعالى: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق..﴾ العنكبوت: ٢٠، وهذا في واقع الأمر أساس العلم ورسالته.

إن عقلنا هو البوصلة التي تدلنا على الصحيح والخطأ، على ما يجب أن نفعله، وما لا نفعله، كما أنه الموجّه للحياة البشرية.. لذا فإنّ المواد الضارة التي تعطل عمل العقل البشريّ أو تبطله ما هي إلا انتهاك واعتداء على البشرية ذاتها. من هنا يمكن القول: إن الكحوليات والمخدرات التي تخدّر وتذهب العقل البشريّ انحطاطاً بالإنسانية - الإنسانية البريئة - إلى مدارك البهيمية.

سلس البول

سلس البول عارضٌ طبيٌّ ، حيث لا تعمل عضلة المثانة بالشكل الطبيعيّ، فيقطر البول أو ينطلق خارجاً، ولا يمكن التحكم فيه، وكذلك يؤثّر سلس البراز على عضلة الشرج، فيخرج لا إرادياً، فيوسخ ملابس المريض.. وتسبب الحالتان كلتاهما ألماً كبيراً.

وهناك نوعٌ ثالث للسلس، عواقبه أشدّ خطورة من المثالين السابقين.. أعني به سلس الكلام.

فالكلمات التي تصدر عن غير قصد في المكان غير المناسب أو في الوقت غير المناسب، أو في الظروف الخاطئة.. يمكن أن تؤدّي إلى عواقب تتراوح بين المؤذية والكارثية.

والأمثلة متواترة في حياتنا اليومية.. ومن تجاربي الشخصية اكتشفت أن الدافع إلى الكلام هو الأقوى بين الرغبات الإنسانية، ويفوق الطعام والجنس. وعندما كنت طالباً، كان من عاداتنا التجمّع أمام غرفة المحاضرات، نتبادل النكات والقفشات والدردشة، حتى يصل أستاذنا.

وعندما أمعنت في التأمل في هذا الإغراء الذي لا يقاوم، قرّرت الصمت ليوم واحد في الأسبوع، واكتفائي بالحدّ الأدنى من الكلمات في الإجابة عن سؤال يوجّه إليّ.

حدث ذلك عندما اكتشفت شهوة الرغبة في الكلام، وكذلك صعوبة القدرة على كبحها.. كان ذلك أعظم أحد الدروس التي تعلمتها من الحياة.

وأثناء قراءتي القرآن شدّ انتباهي أن الصوم عن الكلام نوعٌ من العبادة كما جاء في القرآن الكريم، عندما بُشّر النبيّ زكريا بيحيى بعد أن بلغ من العمر عتياً.. حيث سأل ربّه آية، فأمره الله تعالى ألا يكلم الناس ثلاثة أيام.. وعندما ولدت مريم المسيح - عليه السلام - وجاءت إلى قومها تحمله، أمرت بأن تذهب إليهم، ولا تكلم إنسياً، وبالطبع كان اتهام قومها لها بالبغي، إلى أن تكلم الرضيع عيسى، كما أخبرنا القرآن الكريم.

فالمقدرة على التحكم في اللسان من أعلى نعم الله تعالى.

الخطيئة الأولى

من المعلومات الشائعة أن الخطيئة الأولى هي تلك الخطيئة التي ارتكبتها آدم وحواء، عندما أكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن الاقتراب منها .
وفي رأيي إن كانت هناك خطيئة أولى فهي خطيئة إبليس الذي أوى أن يسجد لآدم، عندما خلق الله آدم من تراب وأمر الملائكة أن يسجدوا له، فسجدت الملائكة إلا إبليس أبى قائلاً: «خلقته من طين، وخلقته من نار»... وعندما اعترف آدم وحواء بما اقترفاه وتابا عنه، غفر الله لهما، لم يتب إبليس وأبى واستكبر حتى يومنا هذا .

هذا هو العنصر الشيطاني في الطبيعة البشرية التي تسوق بعض البشر إلى التمسك بعناد التكبر والغرور بدلاً من قول: «أنا آسف».. ثم يقومون بتصحيح مسارهم.. فهم يعتقدون أن هذا من الضعف بينما في واقع الأمر أن هذا هو لبّ القوة.. ومن ثم تكون معاناتهم ومعاناة العالم نتيجة لذلك .
والأمثلة كثيرة على المستويات: الشخصي والقومي والعالمي.. والنتائج وخيمة.. والشخص القويّ بحق هو من يكون الأقوى على نفسه .

النجم اللامع

على مدار العصور يعدّ الحلم أثناء النوم ظاهرة معروفة، وعلى الرغم من كون الأحلام تلفت الانتباه، وتحفّز على الدراسة المتعمقة، فإن الأحلام مازالت أمراً محيّراً، وتتجاوز - إلى حدّ كبير - مجال المعرفة البشرية، وقد تنسى الأحلام أو تفقد حيويتها، بينما هناك من الأحلام ما تبقى في الذاكرة.. وهذا أحد الأحلام، الذي ما زال حياً في ذاكرتي.

كنت أشاهد سماء الليل المعتمة، وقد تزيّنت بآلاف النجوم الصغيرة، وجذب انتباهي إحدى هذه النجوم؛ لأنها كانت وضاءة ومشرقة، وبدأت بالهبوط نحو كوكب الأرض.

ومع اقترابها منها، أدركت أن النجمة ليست إلا العذراء مريم حاملة رضيعها المسيح على ذراعها الأيسر، وكانت تكتسي برداء أبيض فضفاض.. كان وجهها يتلألأ، وكانت هالة من نور تلفّ رأسها.

انتابتنى رهبة عندما اقتربت وتوقفت، وهي على بعد عشرين ياردة مني.. أحنيت رأسي، فردّت بابتسامة وإيماءة من رأسها.. ثمّ بدأت تصعد ثانية في نفس المسار، و صارت صورتها أصغر فأصغر.. وعندما وصلت إلى السماء صارت نجمة ساطعة.

هذا واحد من أكثر الأحلام تأثيراً في حياتي.. فأنا أحبّ مريم العذراء، وأحبّ المسيح مثل كلّ المسلمين.. وقد وصف الله تعالى عيسى في القرآن الكريم: ﴿... رسول الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم، وروح منه...﴾ النساء: ١٧١، وقال عن مريم: ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ آل عمران: ٤٢٠.

فضيلة الاعتذار

تلقيت - من سنوات مضت - مكالمة هاتفية لا تنسى.. أخبرني المتكلم باسمه، وسأل إن كنت أعرفه، فأجبت بالنفي.. فسألني إن كنت أقبل دعوته على العشاء في فندق فخم؛ حتى تكون له الفرصة بإخباري بالموضوع، وأوضح أن الأمر يهمه كثيراً.

وعندما استقبلني سألتني إن كنت قد عرفتته، فأجبتته بالنفي أيضاً، فأخبرني بأنه زميل دراسة وكان يجلس في المقعد خلفي في الصف الثالث في المرحلة الابتدائية، منذ أربعين عاماً خلت.. فقممت بتحيته بحرارة معترفاً بأن الذاكرة خاننتني للأسف.

ثم سألتني: ألا تتذكر رحلتنا إلى أهرامات الجيزة، عندما ركبنا الحافلة؟ ألا تتذكر صندوق طعامك الذي فتحته عندما حان وقت الغداء لتجده فارغاً، فارتسمت على وجهك علامات التعجب والمفاجأة؟

عندئذٍ تذكرت، وأخبرني بأنه هو الذي أخذ الطعام من الصندوق، على سبيل الدعابة؛ ليستمتع بمشاهدة ردّ فعلي على تلك المفاجأة غير السارة. عادت إلى ذاكرتي الحادثة بعد مرور سنوات عديدة، وارتسمت على وجهي ابتسامة عريضة.

وعلى الرغم من قراءتي الكثيرة لقول الله تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يَغفر الذنوب إلا الله...﴾ آل عمران: ١٢٥، إلا أن تلك الحادثة فتحت لي آفاقاً جديدة.. لمَ لا أحاول تذكر كل أخطائي؟ وبقدر المستطاع؛ لأكفّر عنها.

كانت دعوتي لك مثلاً على حلول تلك السياسة الجديدة في حياتي، وهي قليل من كثير.. ولا تتصور مدى السعادة الغامرة التي غمرت حياتي منذ ذلك الوقت. يفقد كثيراً من يقترفون السيئات في حياتهم العامة أو الخاصة، ويحرمون أنفسهم والآخرين من نعمة الاعتذار عنها.

تفضّل أولاً

شخصان يسيران في ممر، سيصلان من خلاله إلى غرفة بنويان دخولها.. من الجلي أن هناك احتمالين:

يتوقف الشخصان، وعلى وجه كل منهما ابتسامة، ويشير كل منهما إلى الآخر مع عبارة: «تفضّل أولاً».. وفي نهاية المطاف يدخل الاثنان، واحداً تلو الآخر، وكلاهما سعيد.

في السيناريو الآخر.. يصرّ كل من الشخصين على الدخول أولاً.. يصطدمان، ويحاول كل منهما دفع الآخر؛ حتى يدخل هو أولاً.. ومع تلك الأنانية والعناد يتولد شعور العدا، حتى ينجح أحدهما في دخول الغرفة أولاً، ثم يتبعه الثاني.

النتيجة واحدة في كلتا الحالتين، ولكن العواقب ليست كذلك، فعوضاً عن الشعور السعيد بالعطاء والتنازل والمحبة، سيكون هناك الشعور بالغضب والتنافس وجوّ مفعم بالعداء.. ولو كان هذان الشخصان مدعويين لحضور اجتماع، فإن حالتها النفسية قد تفسد المناقشات، وتؤثر على مجرى الحديث.

قد يبدو هذا المثال بسيطاً، ولكن بالنظرة الثاقبة للمجريات في العالم على المستوى الواسع نجد أن أكثر المعاناة - في جوهرها - وذلك التناقض في العالم مظهر لما يحسّه الإنسان نحو الإنسان.

نفس نبيلة

قابلتها لأول مرّة في مؤتمر «بنيو أورلينز»، وكان ذلك منذ سنوات عدة.. كانت ممرضة في منتصف العمر، يشعّ وجهها بطمأنينة حلوة.. وبالسعادة والرضا.. لم يسبق لها الزواج، ولكنها أم بالتبني لثلاثة أولاد.

ومما أدهشني أن الأولاد الثلاثة مصابون بعاهة المرض المنغولي وتبنتهم باختيارها.. بدا ذلك غريباً؛ لأنه في الولايات المتحدة يجري الفحص الجيني، واكتشاف الإصابة بمتلازمة (داون المنغولية). فيكون القرار الطبي «التشف»، وعادة ما تكون هناك رسالة: «ادرس واقتل»: لأنه - مع وجود استثناءات قليلة - يجري التخلص من الأجنة بالإجهاض.. وهذا ما جعلني حريصاً على معرفة المزيد عن تلك السيدة.

كان اعتقادها الراسخ أن لكلّ إنسان الحق في الحياة، وهو حق يتجاوز رغبات الوالدين أو الحسابات الاقتصادية للمجتمع، بالطبع ما لم يكن تشخيص الجنين يؤكّد شذوذاً قاتلاً، أو يجعل الحياة غير محتملة، أو إذا كان استمرار الحمل يمثل تهديداً لحياة الأم.

ولذلك ففي اعتقادها أن للمنغوليين الحق في الحياة، فالدول التي تستطيع تمويل حديقة للحيوان، لا بد أن تكون قادرة على تمويل مؤسسات ترعى بشراً معاقين.

ومن خلال تجاربها، كان المنغوليّون على رأس القائمة، حيث يمكنهم الحياة إلى سنّ معقولة، والتعلّم إلى درجة معينة، ويمكن تدريبهم لكسب العيش وإعالة أنفسهم.. وهم على وجه العموم مهذبون، وأشارت إلى أن أولادها الثلاثة خير دليل على ذلك.

«هم مصدر متعة وسعادة لي ولكل من قابلهم، وفوق ذلك كله كانوا عروة وثقى ربطتني برحمة الله، ومن المؤلم أن نرى هذا العامل الإلهي محلّ إهمال في أيامنا هذه».

زكي وعائشة

زكي وعائشة ابنا خالتي .. كان زكي - رحمه الله - يكبرني بعام، وكانت عائشة، رحمهما الله تصغرنني بعام.. كانا - رحمهما الله - أقرب أصدقائي إليّ في طفولتنا المبكرة، والدهما كان مهندساً في الريّ، ترتبط مهنته بفيضان النيل في مصر، وبالتحكم فيه حسب متطلبات استخدام الدولة للمياه، تبعاً للجفاف النسبيّ أو ارتفاع منسوب المياه في النيل.

ذات يوم كان الأخوان يلعبان بجوار شاطئ النيل، فانزلقا وسقطا معاً في النيل، ومن حسن الحظ تعلقت عائشة بقطعة خشب، حيث أمسكت بها بإحدى يديها، وأمسكت باليد الأخرى بخصلة شعر من رأس أخيها زكي، وبقيتا مكانهما إلى أن جاءت النجدة، وتمكّنت من إنقاذهما .

بعد عام من هذا الحدث توفيت عائشة بالتهاب السحايا، عن عمر يناهز السنوات الخمس، وظلّ زكي رفيق حياتي إلى أن توفيت بأزمة قلبية عن ثلاثة وسبعين عاماً . كان أستاذاً لهندسة المناجم بالجامعة وعالمًا مرموقاً في هذا التخصص، تدين له الدولة ولعلمه ولمساهماته، وكان الحزن عليه بالغاً، ومن ثمّ جرى تكريمه على الخدمات الجليلة التي أداها لوطنه .

لكنني كثيراً ما أتساءل الآن .. لأيّ منهما يكون التكريم؟

لـ «زكي» على إنجازاته؟!

أم لـ «عائشة» التي قامت في المقام الأول بإنقاذ حياتها؟!

عائشة التي لولا جهودها - وهي طفلة - ما كان لمنجزات زكي أن تتحقّق!

حياة غير شرعية

تَزَوَّجَتْ وهي في الثالثة والعشرين من عمرها، ولكن خاب أملها في أن تصبح أمًّا: لأن حملها لست مرات انتهى بالإجهاض الطبيعي.

قررت رفع شعار «كفاية»، نتيجة الإحباط الذي أصابها، وأجريت لها عملية تعقيم دائم بواسطة المنظار Laparoscope.. تُجرى العملية بثقب جدار البطن، مما يتيح الرؤية بالمنظار الذي يحتوي على إضاءة، ومن خلال ثقب آخر يجري إدخال جهاز كاو يجلط كلاً من أنبوبيتي فالوب، وبذلك يمنع السائل المنويّ الصاعد من الالتقاء بالبويضة النازلة... كان ذلك هو فائدة استخدام هذا المنظار عند اختراعه.

مرت سنوات خمس، وتوقفت الدورة الشهرية، وشُخِّصت حالة حمل، وكان ذلك الحدث غاية الفرح والسعادة لها.. فقد مرت بفترة من الندم والأسف على قرارها إجراء عملية العقم.

لكل جراحة نسبة من الفشل، ولعلّ عمليتها الجراحية قد دخلت في هذه النسبة، فقد بقي الحمل بنجاح متجاوزاً تاريخها السابق من الإجهاض المتكرر.. وفي الموعد ولد طفلاً صحيحاً جميلاً، وشعرت أنها أسعد امرأة في العالم.

ولكن الإنسان أغرب وأعقد مخلوق، فقد راودتها فكرة، وبتحريض من بعض الصديقات رفعت دعوى على طبيب أمراض النساء الذي أجرى لها عملية التعقيم الفاشلة تحت تهمة سميت بـ «الحياة غير المشروعة»، حيث إن عملية التعقيم التي أجراها لها الطبيب لم تحقق هدفها، ومقابل أسعد حدث لها فإنها تشكو وتطالب بالتعويض!

كان الحكم في مصلحتها، وكان على الطبيب أن يدفع مبلغاً ضخماً من المال، إضافة إلى نفقات إعالة الطفل وتعليمه حتى يبلغ الثمانية عشر عاماً.

بعد عامين كان الطفل يلعب بالكرة أمام منزلهم.. فتدحرجت الكرة إلى الشارع، فاندفع الطفل خلفها! لم يتمكن سائق سيارة قادمة من أن يتفادى الطفل، فدهسه حتى الموت!

وضاع كل شيء في لحظة.

جمال قبيح

رأيتها للمرة الأولى في حفلٍ في بيت صديق.. عندما دخلت جذبت عيني بقوة، وأعتقد أن هذا ما حدث لكل شخص؛ لأنها كانت فائقة الجمال. لم أر في حياتي مثل هذا الجمال، كان وجهها مُعجزاً في جماله، وجعلني أهمس مرّة بعد مرّة: «تبارك مَنْ خلق هذا الجمال!»

تجاذبت أطراف الحديث مع بعض الصديقات، وفي تلك اللحظة تمنيت لو لم تفعل، فقد سمعتها تتحدث، وبردّ فعلٍ عكسيّ، شعرت معه بغاية الإحباط. كان صوتها مُتخماً بالفطرسة والسخرية والاحتقار، واستمرّت في اغتياب هذه وسبّ تلك، وفي انتقاد الناس بعنف؛ لأن آراءهم لا توافق هواها.

جعل أسلوبها في الكلام وجهها الجميل يخبو جماله، وأصبح في نظري الجانب القبيح للطبيعة البشرية.. وبدلاً من أن يمثل صورة للجمال، فإن الوجه نفسه تضاعف ليكون صورة للقبح.

المفتاح النفيس

يُسمى الطبيب في بلداننا العربية «الحكيم»، فالتوقع الشائع أن ثمة دوراً آخر عليه القيام به، وهو تقديم الحكمة إلى جانب العلاج.

ذات يوم تلقيت طلباً من قسم العلوم الوراثية الذي أعمل به لعيادة مريضة، قالوا: إن لديها ميولاً انتحارية.. كانت المريضة طيبية أطفال شابة، وأماً لطفلة مشوهة بالكامل تبلغ من العمر عامين، ونظراً لشدة تشوهها توقع الجميع موتها بعد ساعات أو أيام من ولادتها، ولم يحدث ذلك، بل ظلت تنمو وبقوة.

كان الطعام يصل إلى معدتها عن طريق أنبوب في الأنف كل ست ساعات، واستمر ذلك طويلاً، وبدأت الأم تنهار تحت وطأة الإجهاد إلى حد أن راودتها فكرة الانتحار، كمخرج من هذا العذاب.

ومن عادتي أن أفصل كلماتي على أذن من أحدثه.. فقلت لها:

أريد أن أعرف.. هل أنت مؤمنة أم غير مؤمنة؟ فعندي كلمات لكل حالة.

فقلت: أنا مؤمنة مسلمة ملتزمة متمسكة بتعاليم الإسلام.. مؤدية للعبادات ومتمسكة بأهداب العقيدة.

فقلت: أي أنك تؤمنين بأنه بعد هذه الحياة حياة آخرة، وفيها الجنة والنار والحساب.

فأجابت: نعم.

فقلت: دعينا الآن نتخيل أننا متنا وبعثنا في الدار الآخرة، حيث النار على جانب والجنة على الجانب الآخر، وهناك أعداد غفيرة من الناس بينهما، بعضهم وارد إلى هذه والبعض الآخر وارد على تلك.. بالطبع أنت تريدين دخول الجنة، وبدأت تشقين طريقك بين جموع الناس بصعوبة، حتى وصلت إلى باب الجنة،

عندئذ سينظر إليك حارس الجنة سائلاً: ماذا تريدين؟

وبالطبع ستقولين: أريد أن أدخل الجنة.

ولكن عندئذٍ سيواجهك بالسؤال: هل لديك مفتاح؟

فماذا سيكون جوابك؟

كانت ذكية، وبعد صمتٍ قصيرٍ قالت: سأجيبه.. نعم لديّ مفتاح.

قلت لها: سيسألك: أريني المفتاح.. فماذا ستقولين؟

فقلت بثقة: صبري على ابنتي، هذا هو المفتاح.

طأطأت رأسها، وللمرة الأولى بعد عامين ترسم على وجهها ابتسامة..

شكرتني، وظهرت عليها كلّ علامات الارتياح، وهي تغادر العيادة.

بعد ذلك اتسمت حياتها بالقبول المطمئن.. كانت قد منعت الحمل، ولكنها

قررت أن تحمل، وسرعان ما حدث ذلك، وخلال حملها شكّ بعض الأطباء في نمو

الجنين بشكلٍ سليم، وكان قرارها أن تقبل بامتنان ما يعطيها الله.

وأخبرتني بشعورها بأن هناك رسالة أكثر أهمية من طب الأطفال.. قررت أن

تكون مثلاً طيباً في الصبر والرضا لمثيلاتنا من الأمهات.

بعد ذلك أنجبت طفلة طبيعية وجميلة، وأحبت كليهما كثيراً، وكانت تحكي لي

دائماً عن الدور الذي لعبته الابنة المشوّهة في حياتها، وأنها التي منحتها مفتاح

الجنة.. ولا شكّ في أنها أفضل شيء في حياتها.

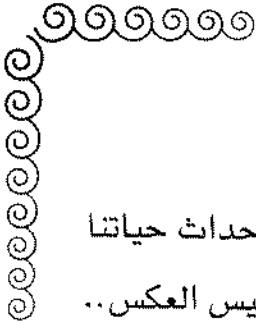
الاختيار

منذ سنوات خلت، كان هناك جمعٌ من الأصدقاء في منزل أحدهم (على ما أذكر) للاحتفال بيوم ميلاده.

وكنوعٍ من الترفيه في برنامج الحفل اقترح أحدهم أن يقوم كلُّ منا بإخبار المجموعة عن يومين في حياته الشخصية: أسعد يوم وأسوأ يوم في حياته. وأثناء الحديث طلب أحدنا أن يقلب الوضع، ويتحدث عن اليوم الأسوأ أولاً.. فأخبرنا أنه كان في طريقه إلى المطار؛ ليسافر إلى الولايات المتحدة في بعثة علمية، فقد كان يتطلّع ويعمل جاهداً على ذلك لوقتٍ طويل، حتى جاء يوم السفر وسار في طريقه إلى المطار محملاً بالأمال والطموحات، وكان من سوء الحظ أن اصطدمت السيارة التي كان يستقلها إلى المطار بسيارة أخرى، وأصيب بجروح وكسور، وبدلاً من أن يذهب إلى المطار نُقل بسيارة الإسعاف إلى المستشفى لتلقي العلاج، وعانى من الإعاقة لمدة أشهر.. وضاعت فرصة أمريكا، ولم تسنح له الظروف بها بعد ذلك.

أطبق صمّتٌ حزين للحظة، حتى قام أحدنا بتغيير جوّ الحزن، وسأله أن يخبرنا عن أسعد يوم في حياته.. ابتسم صديقي، ونظر في عيني كلِّ منا، وقال في تعمّد واضح: ستدهشون إذا عرفتم أن أسعد يوم في حياتي لم يكن سوى ذلك اليوم نفسه الذي أخبرتكم عنه للتو، فبعد فترة طويلة علمت مصادفة أن الطائرة التي كنت سأسافر عليها من أوروبا إلى أمريكا تحطمت خلال الرحلة، ولم ينج أحدٌ من الركاب.. ولو لم أعلم بذلك لظلت أندب حظي طوال أيام حياتي.

كثيرةٌ تلك الأمثلة التي تقع في حياتنا، وفي حياة الآخرين.. فلا يملك المرء ضماناً للحظ أو الرضا لو علم الجانب الآخر من القصة التي قد تجعل من الجانب المحزن ظاهرياً مقدمةً لنهاية سعيدة للغاية.



لسنا في وضع يسمح لنا أن نطلب من الله أن يعطينا تفسيراً لأحداث حياتنا التي نشعر بآلامها.. فالله هو الذي يضعنا في اختبار الإيمان به وليس العكس.. وكما قال رسولنا (صلى الله عليه وسلم): «لو علمتم الغيب لاخترتم الواقع».

تلك هي الترجمة الحقيقية للإيمان بالله، والتوجه الصحيح للنجاح في اختبار الإيمان.

عيد ميلاد سعيد

صغيرتي الحبيبة: كنتِ يوم عيد ميلادك مثل النجمة المتلألئة، كنتِ محطَّ الانتباه، وكان وجهك يشعُّ بالسعادة وأنتِ تتلقين التهنئة من الجميع، لقد تلقيتِ من الهدايا الكثير، وكذلك الدعوات والتمنيات الطيبة.
كان ذلك يومك.

ألم يكن كذلك؟.. ولكن!!

في يوم عيد ميلادك.. مَنْ في الواقع قامت بالميلاد؟

هل كنتِ أنتِ أم أمك؟

مَنْ حَمَلتِ تسعة أشهر، وواجهت المصاعب قبل أن يتحقق هذا اليوم؟

وَمَنْ حَمَلتِ مسئوليات الرعاية والإطعام منذ ولادتك؟

أتمنى لك أيام أعياد ميلاد سعيدة، ولكن لا تنسى أن يوم عيد ميلادك هو في

الحقيقة يوم عيد ميلاد أمك!

الواحد الأحد

God	بالإنجليزية
Allah	بالعربية
Yahweh	بالعبرية
Dieu	بالفرنسية
Dios	بالإسبانية
Goot	بالألمانية
Dio	بالإيطالية
Khoda	بالفارسية
Theos	باليونانية

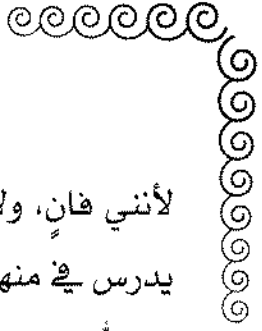
تلك أسماء الله في لغات مختلفة، ولذلك فمن المدهش أن نشاهد على التلفاز بعض أدياء المعرفة - وبصورة متواترة - يتهمون المسلمين بأنهم لا يعبدون God، بل يعبدون Allah.

يتكلم البشر لغات مختلفة، وفي كل لغة اسم لله تعالى، (وربما تكون اللغة الإنجليزية هي اللغة الوحيدة التي تفتقد هذا الاسم، وتستخدم الحرف (G)، بدلاً من مجرد (god).

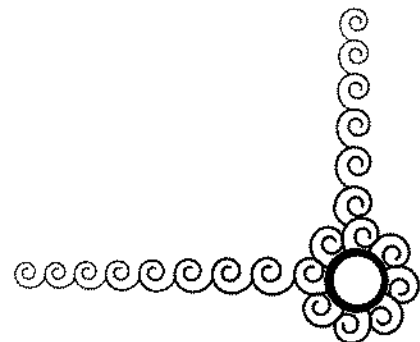
وفي مناسبات كثيرة، وبعد إلقاء كلمتي أواجه بالسؤال: «إذا كنت في الحقيقة تعبد God فمن الله إذن؟ بل لقد استمعت إلى شخص يحتلّ منصباً كبيراً، يعقد المقارنات بين (الإله) وإلاه المسلمين.

الله أحد.. فلا يجوز أن يكون هناك إلهان، فعندئذٍ لن يكون أيُّ منهما هو المطلق.. والله وحده هو اللانهايي المطلق.

وقد يسأل أحدهم: ماذا تعني بالخلود؟ .. وستكون إجابتي الواثقة: لا أعرف؛



لأنني فإن، ولا أستطيع أن أفهم الخلود.. ومع ذلك فلا بد من اصطلاح علمي
يدرس في منهج الرياضيات في المدارس، وليس في المناهج الدينية.
الله موجود، وهو الواحد الأحد.. وسواءً أكان الإنسان مسلماً أم مسيحياً أم
يهودياً أم هندوسياً أم ملحداً أم غير موحد بالمرّة.. فالله موجود، وهو الواحد
الأحد.



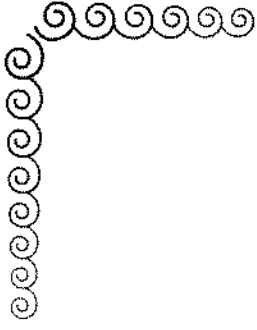
خاتمة المطاف

وَلَجْتُ دَارَ الْحَبِّ بَاباً فَبَابٍ
فإِنِّي مِنْهُ وَمِنْ صَنَعَتِهِ
فِي دَمْعَةِ الْعَيْشِ وَفِي بَسْمَتِهِ
لَكِنَّهُ بَاقٍ عَلَيَّ جِدَّتِهِ
وَأُرْتَقِي الْعُمَرَ إِلَى قِمَّتِهِ
وَسَوْفَ أَلْقَى اللَّهَ يَوْمَ الْحِسَابِ
وَالْحَبُّ قَرِيبَانِي إِلَى جَنَّتِهِ

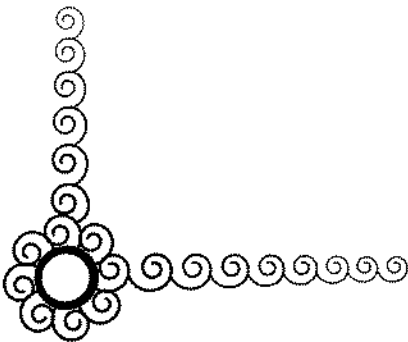
من ديوان (جراح وأفراح) للمؤلف

الفهرس

٥	تقديم بقلم/ غنيمية فهد المرزوق
١٥	كلمة بقلم: محمد مرعي
١٦	خطاب من د/ حسان حتحوت
١٩	الفاحة
٢٠	(١) صوت الصمت
٢١	(٢) آفاق الفكر في عقل مسلم
٢٢	(٣) الحب
٢٣	(٤) رمضان (عيد قوة الإرادة)
٢٤	(٥) سلاح الشعارات
٢٥	(٦) حب الظهور
٢٦	(٧) مسلمون ونصاري
٢٧	(٨) الحكم المنحاز
٢٨	(٩) الأسلحة الذرية
٢٩	(١٠) أسلحة الدمار الشامل
٣٠	(١١) كن مثل الإبهام
٣١	(١٢) عندما يتمزق السلام إرباً
٣٢	(١٣) من ذكريات الحرب: عدوي الصديق
٣٤	(١٤) دردشة مع أستاذي
٣٥	(١٥) الوقاية خير من العلاج
٣٦	(١٦) رجال دولة إزاء رجال سياسة
٣٧	(١٧) قال المسيح
٣٨	(١٨) آل إبراهيم
٤٠	(١٩) الحاخام هليل
٤١	(٢٠) الموت
٤٢	(٢١) «فرانك بوخمان»... «شفاء جروح العالم»
٤٤	(٢٢) الحرية
٤٥	(٢٣) قواعد أساسية
٤٦	(٢٤) النسبة والتناسب
٤٧	(٢٥) في السيرك



٤٨	(٢٦) «ميمونيديس»
٤٩	(٢٧) النشوء والخلق
٥٠	(٢٨) الابتسامة
٥١	(٢٩) أولادنا
٥٢	(٣٠) السباحة
٥٣	(٣١) السيدة لاوري (طيب الله ثراها)
٥٤	(٣٢) البورصة
٥٥	(٣٣) القيم إزاء الأسعار
٥٦	(٣٤) انفصام الشخصية
٥٧	(٣٥) العضو
٥٨	(٣٦) فاكهتان: طازجة ومجففة
٥٩	(٣٧) بين المطرقة والسندان «١»
٦٠	(٣٨) بين المطرقة والسندان «٢»
٦١	(٣٩) سلس البول
٦٢	(٤٠) الخطيئة الأولى
٦٣	(٤١) النجم اللامع
٦٤	(٤٢) فضيلة الاعتذار
٦٥	(٤٣) تفضّل أولاً
٦٦	(٤٤) نفسٌ نبيلة
٦٧	(٤٥) زكي وعائشة
٦٨	(٤٦) حياة غير شرعية
٦٩	(٤٧) جمال قبيح
٧٠	(٤٨) المفتاح النفيس
٧٢	(٤٩) الاختيار
٧٤	(٥٠) عيد ميلاد سعيد
٧٥	(٥١) الواحد الأحد
٧٧	(٥٢) خاتمة المطاف



تم طبع الكتاب على نفقة مؤسسة فهد المرزوق الصحفية للطباعة والنشر
ويوقف ريع الكتاب لتعليم ابناء المسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية

رقم الحساب وعنوان البنك:

• **Waqf Endowment Fund / Education Fund**

Cedars Bank

444 South Flower Street

14 th. Floor

Los Angeles, california 90071, USA

Account No. 1010620866

ABA No.: 122041523

